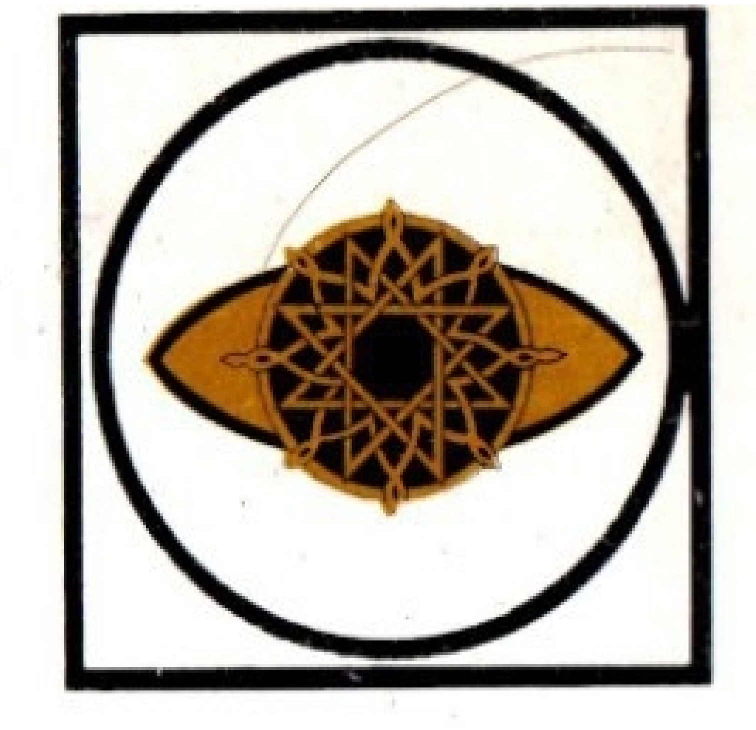
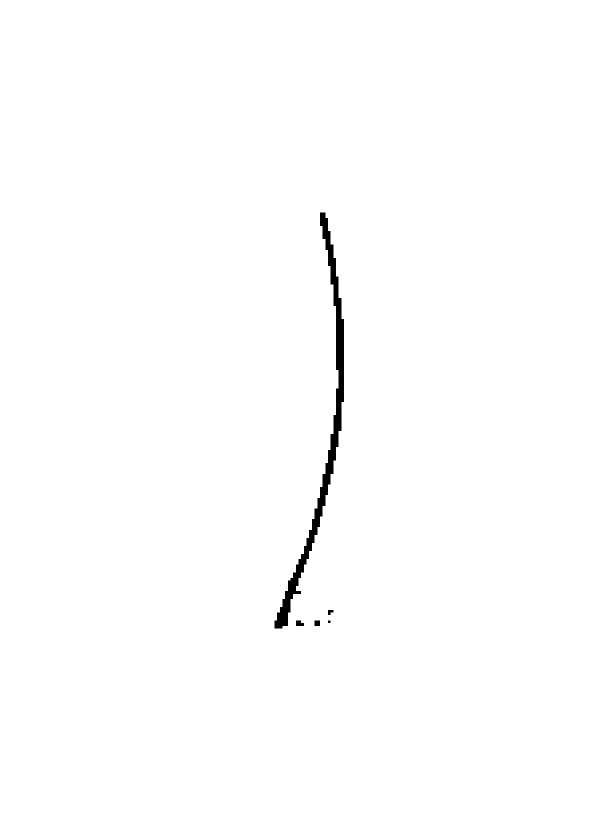


يوسف مناصرية

مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب

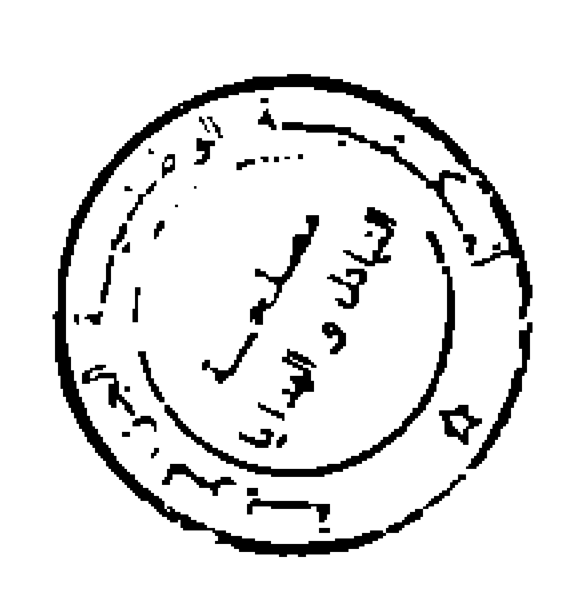
1832 - 1847



يوسف مناصرية

مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب

1832 - 1847



المؤسسة الوطنية للكتاب
3 ، شارع زيروت يوسف
الجزائر

© رقم النشر : 2143/85
المؤســـة الوطنية للكتاب
الجزائر – 1990

الاهداء

الى

روح الامير عبدالقادر المجاهد بالسيف ...

والى

استاذ الجيل الدكتور ابوالقاسم سعد الله المجاهد بالقلم ...

والى

الشباب الجزائرى الملتزم باليقظة والخط الحضاري العربي الاسلامى.

ارفع هذا الكتاب



LEON ROCHES

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

مقدمة

قام الفرنسي ليون روش خلال القرن التاسع عشر بأعمال استعمارية هدامة في المغرب العربي ، ارتبطت فيها مغامراته الجاسوسية في الجزائر بمهامه الدبلوماسية في المغرب ، وأعماله الاستعمارية التخريبية في ليبيا بنشاطه التبشيري في تونس . وقد تناولنا في هذا القسم « مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832 ــ 1847 » بعناية يتصل أولها بأولياته في الجزائر كضابط عسكري ، ومترجم محلف ، ورئيس أعلى لهيئة المترجمين العسكريين [1] في الجيش الفرنسي ، وكاتب سر الأمير عبد القادر ، بآخرها وهو دخوله في السلك الدبلوماسي الفرنسي . ولعل الحظ يسعفنا في اتمام القسم الثاني المتعلق بمهمته في ليبيا وتونس .

والحقيقة أن موضوع « مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب» كان قد تم انجازه في صيف 1981 ، ونشر منه الفصل الرابع تحت عنوان « مهمة ليون روش في المغرب ومحاولته الايقاع بين السلطان مولاي عبد الرحمن والأمير عبد القادر 1845 ــ 1847 » [2] . والفصل الثاني تحت عنوان «ليون روش داخل جيش الأمير عبد القادر» [3] . والفصل الأول «ليون روش في الجزائر قبل التحاقه بجيش الأمير» [4] وبقي الفصل الثالث لم ينشر . وقد فضلنا جمع هذه الفصول ونشرها في قسم أول ، على أمل أن نلحق به القسم الثاني عن قريب ان شاء الله .

وقد واجهنا عدة مصاعب في الاعتماد على المراجع الأجنبية منها اعادة كثير من الألفاظ والمصطلحات إلى أصلها العربي ، ونقل أسماء الأعلام والقبائل والأماكن إلى اللغة العربية ، وذلك نظرا للانحياز الواضح فى أراء الكتاب الفرنسيين وتفسيرهم للأحداث ، خاصة وأن مصادر الموضوع كلها قديمة وهو ما أدى إلى خلوها من الروح العلمية المجردة من المناقشة المحايدة .

وتوزعت مواد الدراسة إلى أربعة فصول تتصل بعضها اتصالا وثيقا . فالتعريف

الشامل بشخصية ليون روش ووصوله إلى الجزائر ، وعلاقته بالشخصيات الجزائرية والفرنسية المدنية والعسكرية ، والتحاقه بصفوف الجيش الفرنسي ودوره داخله ، كانت موضوعا للفصل الأول .

وتلاه الفصل الثاني ، وجاء فيه الحديث عن أسباب التحاق روش بجيش الأمير والمناطق التي مر بها ، والشخصيات الجزائرية والفرنسية التي ساعدته على ذلك . وأول اتصالاته مع الأمير ودوره الاداري ، والعسكري ، والسياسي إلى جانبه .

أما عن نشاطه داخل الجيش الفرنسي ، فقد تتبعنا خطواته منذ هروبه من معسكر الأمير في مدينة تاقدامت ، وأسباب ذلك ، ووصوله إلى مدينة وهران ثم الجزائر ، وكيف كان استقباله بالمقارنة مع أحد الفرنسيين الذين كانوا في خدمة الأمير . ثم يأتي الحديث عن مهمته في تونس لأخذ فتوى من مجلس علماء المسلمين تمنع على المسلمين الجزائريين محاربة المسيحيين . ويأتي ذلك في الفصل الثالث الذي عنوانه «ليون روش في الجيش الفرنسي» .

أما الفصل الرابع والأخير ، فجاء فيه الحديث عن محاولات الفرنسيين عزل الأمير عن سلطان المغرب والقبائل الريفية المغربية . وقد ترتب عن ذلك ارسال ليون روش إلى المغرب . فنلقي هنا نظرة عن أسباب وهدف المهمة ، واتصالات روش في المغرب وكيف نجح في أداء مهمته .

أما الخاتمة ، فقد تضمنت النتائج التي جاءت في البحث والتي تبين أراء ومواقف روش التخريبية في القضاء على المقاومة الجزائرية ، ومتابعة خطوات الأمير عبد القادر ، حتى نهاية أمره وهو عكس ما جاء في كتب الفرنسيين عن اخلاص روش للأمير وللمسلمين .

ونحن نقدم هذا العمل المتواضع ، لا بد لنا أن ننوه بفضل الأخ الكريم الأستاذ عمار جحيدر ، من مركز الجهاد ، طرابلس (الغرب) ، الذي وافانا بوثائق هامة باللغة العربية بخط ليون روش ، قنصل فرنسا في طرابلس وتونس ، وأخرى باللغة التركية ، مترجمة بإيجاز إلى اللغة العربية ، بخط ولاة طرابلس (الغرب) العثمانيين . فله عنا جزيل الشكر وأبقاه الله ذخرا للأمة العربية الاسلامية .

ثم نتقدم بالشكر إلى كل من ساعدنا بحرف أو بكلمة وفي مقدمتهم الأستاذ محمد الطاهر العدواني، أستاذ بجامعة الجزائر، صاحب الاشارة الأولى إلى الاهتمام بدور ليون روش.

وان نسينا فلا ننسى ، فضل الأستاذ الكبير القدير ، أستاذ الجيل ، الدكتور أبي القاسم سعد الله الذي أخذ بيدنا وعلمنا الصبر على معاناة البحث فله شكرنا وامتناننا .

الجزائر ، في 8 من رمضان المعظم 1405 هـ .

الموافق لـ 28 مايو 1985 م .

يوسف مناصرية

الفصل الأول

ليون روش في الجزائر قبل التحاقه بجيش الأمير (1832 - 1837)

الفصل الأول

ليون روش في الجزائر قبل التحاقه بجيش الأمير
(1832 ـ 1837 م)

ليون روش ، هذا الذي سأتناول جانبا من حياته في الجزائر والمغرب ، شخصية مغامرة ، يتمتع بذكاء حاد وجرأة في نشاطه المستمر . ساعدته معرفته العميقة للغة العربية على فهم ذهنيات وعادات المسلمين ، وان يكون أحد الرجال اللامعين في هيئة المترجمين العسكريين الذين أدوا خدمات جليلة للجيش الافريقي . وخولت له مهارته السياسية القيام بمهمته الدبلوماسية في المغرب على أحسن وجه .

ولد ليون روش في مدينة غرونوبل (Grenoble) بفرنسا في 27 سبتمبر 1809 م 1224 هـ من أبوين فرنسيين وتوفي في نفس المدينة في 26 جوان 1901 م (1319 هـ) . بدأ دراسته في ثانوية غرونوبل وأتمها في ثانوية تورنون (Tournon) التي نال منها شهادة البكالوريا سنة 1828 م (1244 هـ) ، ودخل معهد الحقوق في غرونوبل لمدة ستة أشهر . وكان واسع الطموح ميالا إلى المغامرة ، فانقطع عن الدراسة واتصل بأحد التجار بمدينة مرسيليا ، كان صديقا قديما لأبيه . فكلفه هذا التاجر بمهمة تجارية مكنته من زيارة كل من كرسيكا وسردينيا وجنوة . وكان عمره آنذاك واحدا وعشرين سنة [5] كما زار جل أنحاء ايطاليا الشمالية .

وكان أبوه روش ألفونس (Roches Alphonse) ملحقا بخدمات العتاد العسكري في الجزائر منذ الحملة الفرنسية في شهر جويلية 1830 م (1246 هـ) .

واهتم بالعمل الفلاحي في ضواحي الجزائر ، وكون مزرعة في سهل متيجة . ونظرا لتعدد مهامه ، كتب إلى ابنه ليون يطلب منه الحضور إلى جانبه

ليساعده في الفلاحة ، بعد أن غاب عنه مدة أربع سنوات .

وقد لبى روش رغبة أبيه رغم عاطفته نحو أوربا . وغادر مدينة مرسيليا في منتصف سنة 1832 م (1248 هـ) على متن باخرة فرنسية تحت قيادة السيدان ماريون (Marion) ولوجراند (Legrand) [6] . ووصل بعد رحلة دامت اثنى عشر يوما ، إلى ميناء مدينة الجزائر [7] .

واستقر في منزل أبيه في منطقة ابراهيم رايس [8] وسط الأهالي الجزائريين وبقايا الأتراك والحضر ، على بعد ستة كيلومترات من مدينة الجزائر تقريبا . وكانت مزرعته تتسع إلى 200 هكتار يقوم بخدمتها بعض الأهالي . ولكي يساعد والده ، كان لا بد على روش أن يتعلم اللغة العربية [9] للأتصال بالأهالي القائمين على خدمتها كأجراء [10] .

ولم يتأقلم روش مع البيئة الجزائرية الا بعد مرور قرابة نصف سنة ، تعرف خلالها على احدى الحضريات تدعى نفيسة ، يقول روش أنها أرملة وكيل الحرج (وزير البحرية) ما قبل الأخير لدى آخر دايات الجزائر [11] .

وكانت تملك المقاطعة المجاورة لأبيه ، وكان عمرها ستين سنة ، وتتكلم لغة (السابير) (Sabir) [12] ويقول روش أنها كانت تربطها علاقة حب قديمة مع أحد الأوربيين ، فأحسنت استقباله ، وصار يزورها من حين لآخر .

وكانت تحتضن ابنة «وكيل الحرج» [13] الذي خلف زوجها من امرأة جورجية ، واسمها خديجة ، وهي تحسن القراءة والكتابة باللغة العربية . فتعرف عليها روش وأحبها ، وكانت تجري بينهما لقاءات غزلية باركتها العجوز نفيسة .

هذا بالنسبة لأول اتصالات روش بالأهالي . أما عن اتصالاته بالأوربيين ، فيذكر أنه قضى كل المدة الواقعة ما بين شهر نوفمبر 1832 م (1248 هـ) وشهر أوت 1833 م (1249 هـ) في الخروج إلى الصيد مع عدد من الضباط الفرنسيين المنتمين إلى فرقة قناصي افريقيا كان قد تعرف عليهم بواسطة السيدين ماريون ولوجراند السابقي الذكر ، وأدى به هذا الاحتكاك إلى التعرف على بعض ضباط البحرية أيضا[14] .

وفي منتصف سنة 1833 م (1249 هـ) ، قدمه أبوه إلى كل من الدوق دي روفيجو (Duc de Rovigo) [15] ، حاكم الجزائر العام أنذاك والسيد جانتي Genty مسؤول المصالح المدنية والسيد كوتان Cottin رئيس بلدية الجزائر . وفي هذا الحين انشأ الدوق دي روفيجو هيئة الحرس الوطني ، فعين ليون روش برتبة ملازم في فرقة الفرسان الخيالة ، وكانت هذه الفرقة ترافق الجنرال في الحملات القصيرة التي كان يقودها في منطقة هضاب متيجة [16] .

وحسب ليون روش ، فقد تعرف على رئيس مجلس قضاء الجزائر حينذاك ، فدعاه هذا الأخير إلى تناول وجبة الغداء معه . فخرج روش من عنده متحمسا لتعلم العربية لهدفين أساسيين بالنسبة له ، ألأول التمكن من مساعدة أبيه في الاتصال بأجرائه في المزرعة ، والثاني التحاور مع عشيقته خديجة . فدلته العجوز نفيسة على أستاذ مسلم جزائري الدار ، أندلسي الأصل ، كان صديقا قديما لزوجها واسمه عبد الرزاق بن بسيط . ورغم أن الأستاذ لا يعرف اللغة الفرنسية ، وليون يجهل العربية ، فقد استطاع هذا الأخير ، في مدة ثمانية أشهر ، حسب قوله ، أن يتكلم مع أستاذه باللغة العربية ، فأحبه لفطنته وسرعة ذكائه . ولم يكتف ليون بدروس أستاذه فقط ، بل راح يمرن لسانه على التكلم بالعربية في المقاهي الشعبية ، وحضور جلسات قضاء المسلمين ، والخروج مع الفلاحين اجراء أبيه إلى الصيد . فانطلق لسانه وصار يتكلم لغة الأهالي ويفهمها فتدعمت علاقته بهم .

ويقول روش انه راسل خديجة عن طريق أستاذه وزوجته بالاتصال مع مسعودة ، خادمة خديجة . ولكننا نستبعد تدخل الأستاذ في الموضوع ، لأن اختراق حرمة رجل مسلم محرم في الاسلام ، خاصة اذا كان الأستاذ مسلما كما أكده روش نفسه [17] .

ولم ينقطع روش عن زيارة العجوز نفيسة ، لعله يسمع عن أخبار عشيقته ، فتعرف في بيتها على أحد الجزائريين يدعى سيدي محمد بن عمر باشا [18] .

وكان هذا الرجل في حاجة إلى وساطة لقضاء حاجة له عند الحكام الفرنسيين ، فساعده روش ونال بذلك صداقته واخلاصه . حتى ان ابن الباشا عرفه على زوجته للّا عائشة . وذكر روش أنها قريبة الحاج أحمد باي قسنطينة . ومن كثرة محبتهم واحترامهم له ، كانت ابنتهم تناديه «عمي ليون» [19] .

وتوطدت العلاقة بينهم حتى أن روش صار يقضي لياليه كلها ساهرا ، والى ساعات متأخرة من الليل ، مع سيدي محمد بن عمر باشا وعمر أخيه [20] .

ولما قدمت اللجنة الافريقية الأولى [21] إلى الجزائر سنة 1833 م (1249 هـ) ، لتبحث أحوال الجزائر وتقدم تقريرا للحكومة الفرنسية بعد عودتها تلقى روش الأب زيارة بعض أعضائها وعلى رأسهم السيدان بيسكاتوري (Piscatory) ولورانس (Laurence) . وكان هذا الأخير مكلفا بتنظيم شؤون العدالة وحضر هذا الاستقبال الذي جرى في منزل الفونس روش بأبراهيم رايس ، عدد من الجزائريين . وبما أن المناقشة كانت تدور باللغة الفرنسية ، فقد كلف ليون روش نفسه مهمة القيام بالترجمة بين أعضاء اللجنة والعرب الحاضرين ، ونظرا لطلاقة لسانه ، فقد اعتقد أعضاء اللجنة أنه قدم من المشرق [22] .

ويبدو أن عدم وجود مترجمين يحسنون اللغة العربية بلسان الجزائريين ، قد ساعد على تعيين روش ترجمانا محلفا للجنة من طرف السيد لورانس . وذلك بالاضافة إلى أن القانون كان لا يعترف بأية اتفاقية أو تعاهد يقع بين الأهالي والأجانب بدون حضور ترجمان محلف بينهما .

وكانت مهمة ليون روش تقتضي شرح مصطلحات الملكية في الاسلام وتفسير الشروط المقترحة من الطرفين . غير أن ما تعلمه من اللغة العربية لم يكن كافيا لأداء هذه المهمة على وجهها الكامل ، فكثف جهوده في تعلمها واتقان مصطلحاتها ، وصار يقضي الليالي الطوال في فك ألغاز الأسماء العربية القديمة والمصطلحات الاقتصادية العقارية وغيرها ، وذلك بمساعدة أستاذه عبد الرزاق الذي سهل له تناول المفردات اللغوية المتعلقة بعلم القانون والخصومات في الاسلام [23] .

ومن هنا تجدر الملاحظة بأن ليون روش لم يكن جديا في تعلم اللغة العربية ولا حريصا على النطق بها ليغازل عتيقته كما ذكر ، الا بعدما عرف فوائدها المختلفة ، اذ فتحت له باب رزق لم يكن قد خطر على باله من قبل . وأغلب الظن أنه كان يدرك جيدا مدى حاجة بلاده إلى مترجمين قادرين وأكفاء على أن يكونوا همزة وصل بين الفرنسيين والأهالي . فحرص على ابراز شخصيته أمام عضوي اللجنة الافريقية السابقي الذكر . وكان يتقاضى ما يزيد على ألف فرنك شهريا في المعدل مقابل «المهام المربحة» [24] المتمثلة في ترجماته والخدمات التي أسندت إليه . فاستطاع حينئذ مساعدة أبيه من الناحية المالية أيضا لانجاز مشاريعه الفلاحية [25] .

وكان الجيش الفرنسي كله ــ سنة 1832 م (1248 هـ) عند وصول الدوق دي روفيجو إلى الجزائر ــ يضم أربعة مترجمين لا غير جديرين بأداء مهمتهم . ولما أحضرت فرنسا قنصلها في طنجة آنذاك ، السيد دي لابورت ليشغل منصب المترجم الرئيسي الأعلى في جيش افريقيا في الجزائر ، ويعطي دروسا للمترجمين ، ويراقب تقدمهم ورفع مستواهم ، لاحظ السيد دي لابورت أن أغلبية المترجمين جهلة لا يعرفون القراءة ولا الكتابة [26] .

ويبدو أن الضرورة والحاجة الماسة والملحة ، قد أدتا إلى تعيين ليون روش في منصب مترجم رئيسي محلف في الجيش الافريقي من طرف المارشال كلوزيل نفسه سنة 1835 م (1251 هـ) [27] ، وذلك لكونه ضابطا في فرقة الحرس الوطني واتقانه للغة العربية أحسن من غيره [28] .

وقد اصطحب روش المارشال كلوزيل في حملته على المدية سنة 1836 م (1252 هـ) بصفته ترجمانا عسكريا محلفا [29] . وما أن بدأ المارشال يتاخم ثنية موزاية حتى باغت العرب جيوشه . فتصدى لهم النقيب جاستي (Gastu) ، رئيس فرقة الصبايحية ، فتغلب عليه العرب وهزموا جنوده ، وسقط جاستي جريحا بين صفوف العرب . فاغتاض المارشال من هذا الوضع وأمر ضباطه السبعة عشر الذين يكونون موكبه ، بالهجوم عليهم وفك النقيب جاستي من قبضة سيوفهم ، وكان روش ، ممتطيا جواده الأسود ، أو ل من وصل إلى جاستي . فوجده ممدودا

على الأرض وسيف أحد العرب على رقبته ، وهو دامي الوجه (لأن رصاصة قد خرقت خديه فكسرت فكه) . فلما انشغل العرب عنه بالحرب ، أردفه روش على حصانه ورجع راكضا نحو المارشال ، فشكره هذا الأخير ورفع من شأنه [30] .

وجاء في كتاب السيدان شارل فيرو (مترجم الجيش الافريقي) ، ونارسيس فوكون (كتاب الجزائر الذهبي) حديث للسيد جاستي الذي أصبح جنرالا فيما بعد ، يقر فيه بجميل روش وما له من فضل عليه بعدما أنقذه من الموت [31] .

ويقول ليون روش أن المارشال كلوزيل أمره بأن يصحب الجنرال ديمشال إلى مدينة المدية كترجمان عسكري محلف . فامتثل لأوامره ، ودخلوا المدية ولم يباشروا أية معركة ضد الأهالي . فالتقى روش بأحد أصدقائه الجزائريين ، كان قد عرفه في الجزائر عند محمد بن عمر باشا، وكان يدعى سيدي محمد قائد البويرة ، فدعاه هذا الأخير لتناول العشاء معه . ولما استأذن روش الجنرال في ذلك ، وافقه شريطة اغتنام الفرصة لجمع المعلومات حول محمد بن حسين الذي رشحه الجنرال بايا مواليا لفرنسا على المدية ، خاصة وان سيدي محمد قائد البويرة كان نائبا لهذا الباي ، ولما حضر محمد بن حسين في بيت قائد البويرة ، تحدثا في شأن تعيينه على المدية ، وكان ذلك بمحضر روش [32] .

ومن هنا يثبت لدينا أن روش كان قد مارس الجوسسة قبل التحاقه بجيش الأمير عبد القادر في شهر نوفمبر 1837 م (1253 هـ) .

ولما عاد إلى الجنرال أخبره أن فكرة تنصيب محمد بن حسين بايا على المدية لا تخدم مصالح فرنسا ، ولا يتغير بمقتضاها الوضع السائد في هذا الاقليم لأن الأهالي كلهم ساخطون عليه ، بل ستنجم عن هذا الاجراء أتعاب كثيرة للباي نفسه ، كما سيسبب ذلك مخاطر للكراغلة حلفاء فرنسا في المنطقة . وكان الباي محمد بن حسين كثير الاتكال على قوة فرنسا لحمايته ، حتى ان الجنرال نفسه أحس بهذا الشعور . ولما خلت المدينة من سكانها ولم يبق فيها الا الكراغلة واليهود ، بذل الجنرال وسع جهده في اقناع الفارين وطمأنتهم ، فلم يفلح رغم القوات التي كانت معه والأسلحة التي وزعها على الكراغلة [33] .

ولما فشلت كل محاولات الجنرال ، فوض ليون روش للاتصال بأحد قادة قبيلة وزرة الذين أتوا للقائه . وعرف روش من القائد أن القبائل لا يريدون لا الفرنسيين ولا الباي الذي عينوه .

وقد ألغى المارشال كلوزيل ، أثر عودته إلى الجزائر ، مشروع تنصيب الباي محمد بن حسين على المدية وكذلك باي مليانة ، ثم أن المارشال كتب تقريرا إلى وزارة الحربية ضمنه قائمة خاصة بضباطه الذين شاركوا في الحملة ، وكان اسم روش موجودا فيها وذلك حسب قول روش .

ولكن هذه القائمة ليس لها وجود ضمن مراسلات المارشال كلوزيل التي جمعها السيد جابريال ايسكير في جزئين . وأغلب الظن أنها تكون قد أرسلت كملحق لتقرير المارشال ، وهو ما دفع إلى عدم نشرها [34] .

وواصل ليون روش مهمته كترجمان محلف في الجيش الافريقي . وكانت أحداث الحملة على المدية قد رسخت في ذهنه خاصة حادثة النقيب جاستي التي شارك بسببها لأول مرة في معركة ضد الأهالي . فخلقت لديه طموحات جديدة تجاه الحياة العسكرية . وكانت أمنيته الوحيدة أن يكون ضابطا في الجيش . وزادته تشجيعات الكولونيل ماراي (Marey) اندفاعا لتحقيق أمنيته وبلوغ مرامه [35] .

وهو ما يثبت نيته (روش) في القضاء على الأهالي الجزائريين المسلمين ، وليس كما يزعمه هو لما التحق بجيش الأمير — أنه رجل سلم ، يريد نشر حضارة بلاده في الجزائر .

وصار روش يتساءل فيما اذا كان سيدخل كضابط في فرقة الصبايحية التي تأثر بها وفتنته مغامرته مع النقيب جاستي وذلك في الوقت الذي كانت فيه عجلة حرب تدور بين الجيش الفرنسي والأهالي الجزائريين . وتذكر المصادر أن والده ، الفونس روش قد استطاع ان يلغي تعاقد ابنه مع الجيش الفرنسي [36] .

وهنا تبادر إلى الذهن الأسئلة التالية : اذا كان أبوه قد استطاع ان يمنعه من أن يصبح ضابطا في الجيش الفرنسي ، لماذا لم يقدر على رده عن الالتحاق

بجيش الأمير عبد القادر ؟ هل كان لا يريد الخير لفرنسا ، ويفضله للأمير فوافق ، أو سكت على الأقل ، على أن يلتحق ابنه ليون بجيش الأمير ليخدمه بدل فرنسا ؟ أم هل كان التحاقه بالأمير ، في ظل سلم معاهدة تافنا ، أنفع لبلاده ، فيجلب المعلومات عن أحوال الأمير السياسية والعسكرية والاقتصادية ، بدل من أن يلتحق بالجيش الفرنسي فيقتل أو يقتل .

هذا ما لا نستطيع الاجابة عليه الآن نظرا لندرة المصادر وفقدانها . ولكننا سوف نحاول مناقشة كل هذه النقاط في الفصل الموالي ان شاء الله ، من خلال مراسلات روش من معسكر الأمير في وادي نوغة ، وتلمسان ، والمدية ، ومعسكر ، ومن اتصالاته مع قنصل فرنسا في معسكر ، واتصالاته مع الفارين الفرنسيين الذين كانوا في خدمة الأمير فيما بين سنوات 1837 و 1839 م (1253 — 1255) ، وهي الفترة التي اقامها عند الأمير .

الفصل الثاني

ليون روش داخل جيش الأمير

(1839 - 1837)

الفصل الثاني

ليون روش داخل جيش الأمير (1837 ــ 1839)

كان على السلطات الفرنسية أن تعمل على اقامة السلم في غرب الجزائر ووسطها بعد سبع سنوات من الحرب الضارية ضد الأمير عبد القادر وتركز جهودها ، وتكثف قواتها العسكرية في الشرق الجزائري لمحو عار هزيمة الحملة الأولى على قسنطينة . ومما أكد حتمية اقامة هذا السلم ، والرغبة الملحة فيه ، هو فشل القوات الفرنسية في التوغل داخل البلاد ، وزيادة الخسائر المادية والبشرية ، واضطراب الحكومة الفرنسية وتخوفها من تصاعد الأزمة داخل مجلس النواب . لذا شرع كبار العسكريين في اعداد حملة ثانية على قسنطينة [37] .

فقررت الحكومة الفرنسية ارسال الجنرال بيجو إلى الجزائر للتفاوض مع الأمير وعرض شروط السلم عليه ، وخولت له كل الصلاحيات لتحقيق ذلك . وكان الأمير عبد القادر هو الآخر محتاجا إلى فترة هدنة لاخماد الفتن الداخلية وجمع كلمة المسلمين وتنظيم شؤون دولته العسكرية والادارية والمالية ، واقامة علاقته الخارجية لجلب الأسلحة والذخيرة . فبدأت المفاوضات في أوائل سنة 1837 م (1253 هـ) ، وعقدت في الأخير اتفاقية سلم بين الأمير والجنرال بيجو نيابة عن حكومته في 30 ماي 1837 . وعرفت باسم «معاهدة تافنا» [38] وتضم خمسة عشر بندا كان جلها لصالح الأمير . ومن بين بنودها ، البند الرابع الذي ينص على السماح للمسلمين بالعيش أينما أرادوا ، ولهم الحرية المطلقة في الانتقال من دولة الأمير إلى الأماكن التي يحتلها الفرنسيون ، أو من هذه الأخيرة إلى العيش تحت سلطة الأمير .

وقرر روش في هذا الحين الالتحاق بجيش الأمير ــ بمقتضى هذا البند ــ

وبرر موقفه بعزمه على اعتناق الدين الاسلامي . وغادر مقر أبيه بابراهيم رايس واستقر عند شيوخ قبيلة بني موسى الذين كانت تربطهم به علاقة سابقة اذ كان يخرج معهم إلى الصيد خلال السنوات الماضية (39) .

ويقول روش أنه قرر الالتحاق بالأمير بهدف الوصول إلى عشيقته خديجة التي علم أن زوجها استقر بها في مدينة مليانة الواقعة تحت حكم الأمير . ولكن اذا كان فعلا يريد الاتصال بخليلته كما زعم ، فلماذا لم يقتصر الطريق ويلتحق بصديقه عمر باشا وأخيه محمد اللذين يقيمان في مليانة ، وينظم من هناك اتصالاته كما شاء ، ويكون بذلك قد تجنب كل المخاطر والصعاب والمخاطرة بنفسه في الالتحاق بالأمير (40) . أما اذا صدقنا قوله من أنه ذاهب إلى جانب الأمير لمساعدته في تنوير المسلمين واطلاعهم على الحضارة الفرنسية فإننا نستنتج من ذلك أنه أراد المس بوحدة المسلمين وكسب ولاء ضعاف العقول منهم إلى فرنسا والتباهي بالانسانية وسعة المعرفة وسرعة الذكاء ، وهو دور كان قد قام به أيضا الدكتور وارنيي (Warnier) (41) في مدينة معسكر لما كان يعالج مرضى المسلمين ، لا بهدف مداواتهم وانما لكسب عاطفتهم لصالح الفرنسيين ، وأيضا بخلق الشقاق بينهم وتشتيت صفوفهم (42) .

بدأ روش ينظم اتصالاته مع بعض الفرنسيين والجزائريين بهدف جمع المعلومات الكافية حول أحوال الأمير عبد القادر فاتصل بالملازم الأول فيرجي (Verge) (43) قائد فرقة الصبايحية في مدينة بوفاريك : ورافقه إلى مدينة البليدة لحضور الحكم على بعض الجزائريين كانوا قد قتلوا أحد الجنود الفرنسيين . وأظهر روش اسلامه أمام الحاكم لجلب نظره ، فاستضافه هذا الأخير عنده . فاغتنم روش هذه الفرصة للاتصال بمرابط المدينة ، سيدي بلقاسم ابن سيدي الكبير ، وأظهر له ، بصفته مسلما ، تخوفه من رجال الحجوط لأن يغتالوه كما فعلوا مع الجندي الفرنسي . فوثق به المرابط على حسن نيته ، واستضافه في بيته . فالتقى هناك ببعض المسلمين كانوا في ضيافة سيدي بلقاسم ، واستقبلوه بحفاوة لاعتقادهم أنه مسلم .

وفي هذه الأثناء حضر رسول الأمير عبد القادر ، وأخبر سيدي بلقاسم

بأن الأمير يريد بسط نفوذه على القبائل المقيمة في الشرق الجزائري التي لم تخضع بعد لسلطانه (44) . فتقدم روش حينئذ وأخبر سيدي بلقاسم أنه يريد الالتحاق بالأمير وبذل كل جهده لخدمته . فاستبشر المرابط بكلامه ، ودعا له بالتوفيق وفرح به أشد الفرح لاعتقاده في أن الله قد هداه من الكفر إلى الايمان . ففرح روش حينئذ واستبشر ببلوغ مراميه لأن التحاقه بالأمير يعتبر عملا هاما في خدمة فرنسا ، فيكون بذلك قد بادر بمساهمة حسنة في تحقيق طموح بلاده (45) . خاصة وانه ـــ حسب قوله ـــ ما اعتنق الدين الاسلامي الا ليدخل في وسط جيش الأمير ويقترب منه ليتعرف على أحواله ويجعل منه حليفا لفرنسا ، ويؤدي في الأخير إلى استسلام الجزائريين لها (46) .

وفي شهر نوفمبر 1837 ، عاد ليون روش إلى أولاد سيدي موسى وحمل متاعه في طريقه إلى مليانة . وكان المرابط سيدي بلقاسم قد سلمه رسالة يطلب له فيها الأمان من مرابط الحجوط . ففتحت له الطريق ووصل إلى مدينة مليانة حيث كان يقيم صديقه عمر باشا . فاستضافه هذا ، وقدم له نصائح كثيرة عن كيفية سيرته وأوصاه بالحذر في تحركاته ، والفطنة في سلوكه لكي لا يجلب شكوك المسلمين حوله . وقد فعل عمر باشا ذلك من أجل مساعدة روش للوصول إلى عشيقته ، وهو يعرف جيدا أن روش تظاهر باعتناق الاسلام الا من أجلها (47) . وفي هذه الأثناء كان الخليفة محمد بن علال غائبا عن المدية ، فاتصل روش بنائبه وكاتبه ، قدور بن رويلة ، وشرح له بأنه مسلم ويريد الالتحاق بالأمير ليقدم له خدماته . وأهدى له مصحفا . فاستبشر قدور بن رويلة باسلامه ووعده أنه سيصحبه هو بنفسه إلى معسكر الأمير ، وسوف يطلب من الخليفة محمد بن علال أن يقدمه للأمير (48) . بدأ روش حينئذ يتهيأ لملاقات الأمير . فتعلم كيفية الصلاة ، وبعض تعاليم الاسلام ، وذلك طيلة اقامته عند صديقه عمر باشا . ورافقه قدور بن رويلة فعلا إلى الأمير (49) الذي كان قد سار على رأس جيش إلى الشرق وعسكر على ضفاف وادي نوغة حيث التحق به ليون روش (50) . وقد سأله خليفته محمد بن علال ، بطلب من قدور بن رويلة ، استقبال ليون روش كفرنسي اعتنق الاسلام ويريد الدخول في خدمته . فقبل الأمير الدعوة ، واستقبل

لأول مرة ليون روش وأجرى معه حوارا . فأخبره روش أنه اعتنق الدين الاسلامي بكل اخلاص ، ويريد منه أن يسمح له بالدخول في خدمته . وقال له أن مسلمي الجزائر قد أطلقوا عليه اسم عمر . ففرح الأمير باسلامه وطلب من قاضي معسكره أن يعلمه القرآن وتعاليم الدين الاسلامي وقال له أن المسلم الحقيقي لا يكتفي بقوله أنه اعتنق الاسلام ، وانما يجب أن يفهم ويعرف ما يجب أن يكون عليه المسلم المخلص الصادق في القول والعمل [51] .

وهنا بدأ روش يرتب أمور عمله لأداء مهمته الحقيقية كجاسوس . وبدأ يأخذ حذره من أن يتقن عملا لصالح الأمير ويرتكب بذلك جريمة ضد بلاده [52] . فما كان عليه اذن الا أن شرع في جمع المعلومات ومراسلة الفرنسيين وتعريفهم بجميع أحوال الأمير العسكرية والسياسية وغيرها . وبعث أول رسالة له من معسكر الأمير في وادي نوغة بتاريخ 19 ديسمبر 1837 ، إلى أحد الفرنسيين ، لم يذكر اسمه ، وأشار إليه بعبارة (صديقي) استهلها بأعطاء وصف دقيق عن شخصية الأمير ، ومناقبه ولباسه وأوصافه الجسمية والخلقية ، والدينية ، والثقافية وقال أنه رجل عادل يحترم تعاليم دينه . وان المسلمين يخضعون له بسبب احترامه الشديد لتعاليم الاسلام ، وسيره على نهج الخلفاء الراشدين .

ثم تطرق للحديث عن الحالة الاقتصادية والمالية والعسكرية . فقال ان موارد الأمير الاقتصادية منعدمة وحالته المالية سيئة وجيشه النظامي مفكك ومشتت وضعيف المعنويات ، وان سلطته جزئية ولم يعم نفوذه كل القبائل . فقد خرجت عليه قبائل الجنوب قبل عقد معاهدة التافنة ، ولم تعترف بسلطانه ، ولم يبق في يده الا بعض قبائل الاقليم الوهراني .

ومن الناحية السياسية ، قال روش ان الأمير لا يرى في معاهدة التافنة الا فترة سلم تمكنه من تجهيز نفسه للدخول في الحرب من جديد . وان نفوذه ازداد خلال الستة أشهر الأولى منها — (من شهر جوان إلى شهر ديسمبر 1837) — وتوسع نفوذه وأصبحت سلطته معترفا بها من الحدود المغربية إلى حدود اقليم قسنطينة . وان الأمير الآن قد شرع في جمع الضرائب والأموال لبناء أركان دولته .

وفيما يخص تنظيم الأمير الاداري ، أخبر روش أنه قسم دولته إلى ثمانية امارات وعين على كل واحدة خليفة له . وأعطى تفاصيل حول تقسيم كل امارة وكيفية توزيع القبائل التابعة لها . كما فصل أيضا في رسالته إلى (صديقه) كيفية جباية الضرائب والزكاة والعشور . أما عن موقف المسلمين من استعمار فرنسا للمدن الساحلية ، فقال ان رأيهم مجمع على أنها تحتل الساحل بصفة مؤقتة فقط ، وانه سيتم جمع المال لشراء كل المدن ، ويرجع الفرنسيون إلى بلادهم ، وتسود سلطة الأمير عندئذ كل بلاد (افريقيا) (53) .

واصل روش مهمته كجاسوس وكشف للفرنسيين عن أسرار الأمير العسكرية والاستراتيجية . وقال ان هدف الأمير الأساسي من هذه الجولة هو بسط نفوذه على قبائل شرق البلاد ، ومن ثم جمع الضرائب وتقوية ميزانية دولته . ثم شرح (لصديقه) كيفية محاربة الأمير للقبائل في وادي الزيتون انطلاقا من معسكره في وادي نوغة (54) ، وكيف انتصر عليهم في الأخير بفضل دقة أوامره وتنظيم جيشه (55) . وأعرب له في الأخير عن رأيه في معاهدة التافنة ، وقال انه لا يجب عقد أي سلم مع هؤلاء العرب «المتبربرين» .

وأكثر من ذلك فقد ظهر روش على حقيقة أمره كجاسوس عندما راسل النقيب دوماس (56) ، قنصل فرنسا في معسكر يقول له انه ما التحق بالأمير الا خدمة لبلاده وانه سيفارقه عندما يستأنف الحرب ضد فرنسا وكان ذلك لما أوفده الأمير إلى مدينة تلمسان مرورا بمدينة معسكر ليتعلم القرآن وتعاليم الدين الاسلامي (57) . وأثناء اقامته في مدينة تلمسان ، شك فيه المسلمون واعتبروه جاسوسا فرنسيا . فوضع عليه الخليفة البوحميدي عيونه . ولما أحس روش بذلك حاول الفرار إلى مدينة وهران ولكنه فشل في الأخير (58) . ولما قرر الخليفة اعدامه بادره روش ، تحت قناع الاسلام ، بأنه مسلم لا يجوز قتله الا بأمر من السلطان ، وانه ما فر الا لقساوة معاملة الخليفة له . فعفا عنه الخليفة وقرر ارساله إلى الأمير ، خاصة وان رأى مجلسه (الخليفة) كان في صالح روش (59) . وكان روش قد بعث برسالته الثانية إلى صديقه في شهر فيفري 1838 ، فصّل له فيها النظام الاداري والعرفي الذي كانت تسير عليه قبائل غرب البلاد . وشرح له ما

عرفه عن الأحوال الاجتماعية ، والاقتصادية ، والعسكرية ، والثقافية ، والدينية التي كان يمارسها الأهالي [60] .

وكان روش يعلم جيدا أن الدين الاسلامي يعدل بين الناس جميعا ولا يفرق بين سائد ومسود . فما ان وصل إلى مدينة المدية في أوائل شهر أفريل 1838 ، وحضر أمام الأمير ، حتى بكى له واشتكى من ظلم وجور الخليفة البوحميدي ورجاله ، وسوء معاملتهم له وانهم اعتبروه كافرا وليس مسلما أتى في خدمة الأمير لنصر الحق على الباطل واظهار النور على الظلام . ولعب روش على (سذاجة) [61] الأمير وقال له «هكذا يستقبل مسيحيا اعتنق الاسلام بارادته ؟» [62] ثم بالغ في التضرع فصدقه الأمير ووعده أنه سوف لا يتركه يفارقه أبدا .

واستطاع روش عندئذ أن يحقق هدفه ويبلغ مناه ، ويقترب من الأمير ويطلع على جميع أسراره ، خاصة بعد أن عينه الأمير كاتبا له ومستشارا ، واتخذه رفيقا ، وكلفه بمراقبة مسائل جيشه النظامي ، وملابسه وأجوره ، وولاه مهمة تسجيل أسماء القبائل كلها وحصر أسماء شيوخها حتى يتمكن من جمع الضرائب بدقة [63] .

ولما عاين المسلمون ما وصل إليه روش من مرتبة ، آمنوا جانبه ، وأصبح الأمر طبيعيا بالنسبة لهم خاصة بعدما قربه الأمير منه . فكثيرا ما أسلم الكفار في عهد الرسول ــ ﷺ ــ وأخلصوا الايمان . وازدادت ثقتهم فيه وتيقنوا من ايمانه خاصة بعدما رفض الرجوع مع أبيه إلى الجزائر لما طلب منه هذا ذلك عند زيارته للأمير في منتصف شهر ماي 1838 ، وكان الأمير قد ترك له حرية البقاء أو الذهاب . فاختار البقاء إلى جانب الأمير [64] . فظن المسلمون أنه رفض العودة لكونه مسلما لا يريد الرجوع تحت حكم الكفار [65] .

وصفا الجو حينذاك لروش وسهلت مهمته وتيسر له الأمر في جمع كل ما يحتاجه من معلومات . خاصة وان كل المسلمين أصبحوا يوحون له بكل أسرارهم ويعتبرونه ساعد الأمير الأيمن . وكان روش يحضر حتى مجالس الأمير السرية التي كان يعقدها مع كبار رجال دولته أمثال مصطفى بن التهامي وغيره .

وحرص الأمير على تعليم روش أمور دينه . فعكف هذا الأخير على دراسة اللغة العربية والتعمق فيها . وسجل معلومات كثيرة حول كيفية جلب الضرائب بمختلف أنواعها وكيفية توزيعها على القبائل (66) . وكان الأمير يأخذه معه أينما ذهب ، وينفق عليه من بيت مال المسلمين بهدف تنويره بتعاليم الشريعة الاسلامية . ولكن كان ذلك عملا بدون مردود ، ومجهودا في غير موضعه ، لأنه كان يواجه عدوا في ثياب مسلم ، والفائدة الوحيدة التي كان يجنيها الأمير من روش هي قراءة هذا الأخير للصحف الفرنسية وتلخيص ما جاء فيها للأمير باللغة العربية . ومن يدري هل كان فعلا يخبره بمضمونها الحقيقي أم كان يفتري عليه مكرا وخداعا (67) .

وخرج روش مع الأمير في حملته على عين ماضي بتاريخ 12 جوان 1838 (68) . وكان الأمير قد عزم — بعدما جمع كلمة المسلمين في الشرق — على التوجه إلى الجنوب لاخضاع قبائل الصحراء وتنظيمها تحت سلطانه . وكانت الطريقة التيجانية (69) هي المسيطرة في هذه الأنحاء ، ومركزها عين ماضي . وكان الأمير يعامل صاحبها ، سيدي محمد بن سيدي أحمد بن سالم التيجاني معاملة المرابطين . ولكن شاء القدر أن يعثر الأمير على رسالة للتيجاني بعثها إلى أهل الأغواط يستنفرهم ضد الأمير ، مع رسائل أخرى إلى الحاكم الفرنسي في الجزائر يقول له فيها « ... ان أشغل الحاج عبد القادر من تلك الجهة البحرية وانا أكفيك أمره من جهة البر ... » (70) . ولما وصل الأمير على رأس جيشه إلى دوار أولاد البيضة ، وأتته قبائل الصحراء من كل فج وتجمعت حوله ، أوفد عشرين فارسا على رأسهم ليون روش لا بلاغ التيجاني ان الأمير لا يريد من هذه الحملة الا جمع كلمة المسلمين واعدادهم للجهاد في سبيل الدين الاسلامي . ولكن التيجاني كان يرى لي نفسه انه أحق بحكم المسلمين من الأمير ، فجمع قواته وتمركز في قصره بعين ماضي (71) . ويقول روش انه هو الذي طلب ذلك من الأمير ، وانه أراد أن يبرهن له على صدق ايمانه .

والظاهر أن روش قد قبل القيام بهذه المهمة لعلمه بولاء التيجاني للفرنسيين خاصة بعدما اطلع على الرسائل التي وجهها التيجاني إلى المارشال فالي والتي

وقعت في يد الأمير . ولذلك ألح روش على الأمير في ايفاده للتيجاني ، وفي نيته أن هذا الأخير سوف لا يؤذيه خاصة اذا عرف أنه فرنسي . ومن ذلك يكون روش قد كسب ثقة الطرفين (72) .

وعوضا أن يؤدى روش مهمته الحقيقية في تحسين الوضع بين الأمير والتيجاني ، عمل على تحريض هذا الأخير ضد الأمير . وقال له ان حصانة قصره هي قوه رهيبة في وجه الأمير وستكون له حاجزا صعب المنال . وفي نفس الوقت خوفه وحذره من مواقف الأمير الصلبة ، وانه سوف يحاصر المركز ولو لمدة عشر سنوات (73) .

ونستنتج من ذلك أنه بعث أملا كبيرا في نفس التيجاني الذي ظن فعلا أن حصنه يحميه من الهجومات الخارجية . ولم يذكر روش للتيجاني أن الأمير لا يريد الاستيلاء على مركزه وانما هدفه الوحيد هو جمع كلمة المسلمين لاستئناف الجهاد ضد الكفار . ومن هنا يكون روش قد زاد النار حطبا ، وبلغ بذلك هدفه الأسمى وهو اضعاف قوة المسلمين وتشتيت رأيهم .

وبعد أن قوى روش عزيمة التيجاني على محاربة الأمير عاد إلى هذا وأخبره أن التيجاني متصلب في رأيه وان له ثقة كبيرة في حصنه . وذكر له أنه جمع ما يكفيه لتموين رجاله لعدة سنوات . ولما باشر جيش الأمير المعركة ، كان روش يعلم جيدا أن الأمير سوف ينتصر لا محالة ويتمكن من جمع كلمة المسلمين ضد فرنسا ، فعمل على اضعاف قوته ، وطلب منه أن يجعله على رأس الكراغلة لعلمه أن معظمهم يبغض الأمير . فلم يظهر لهم روش ذلك ولكنه عمل على تبذير الذخيرة وتركهم يطلقون الرصاص في غير موضعه بدل أن يراقب ذلك بكل دقة (74) . ولم يكتف روش بهذه العملية التخريبية ، بل تعداها إلى مراقبة الفارين الأجانب الذين أخلصوا العمل للأمير . فأمر أحد الفارين الفرنسيين ، يدعى ايزدور ، بمراقبة الفار المجرى الذي يقول انه كان يحمل اسم حسن . وحتى لا يتركه يفعل ما يريد ، طلب من الأمير أن يلحقه بفرقة الكراغلة ليكون تحت مراقبته المباشرة (75) .

ولولا الذخيرة التي وصلت إلى الأمير من وكلائه في المغرب وتلك التي أرسلها له المارشال فالي ، طبقا لنصوص معاهدة تافنا ، لانهزم الأمير فعلا بسبب ضعف قواته ونفاذ ذخيرته .

ولم يتفطن الأمير لمخادعة روش ، فعامله معاملة حسنة وارتفعت قيمته عنده أكثر من ذي قبل [76] . ويقول روش أنه مرض في هذه الآونة وان الأمير كان يرعاه رعاية الأم لطفلها . وبعدما تم استيلاؤه على مركز عين ماضي ، منحه الأمير وسام «الريشة» اعترافا منه له بالمجهود الذي بذله خلال المعركة . وفي رسالته إلى المارشال فالي ، نوه الأمير بالدور الذي لعبه روش في هذه الحملة [77] .

ومما يؤكد لنا مهمة روش كجاسوس فرنسي ، اتصالاته مع النقيب دوماس في منتصف شهر ماي 1839 ، اذ أخبره أن الأمير يهدف من وراء زيارته لقبائل شرق البلاد ، إلى تفقد قواتها قبل استئناف الحرب من جديد ضد فرنسا ، وانه سوف يواصل رحلته نحو الشرق ويزور القبائل القاطنة على الحدود التونسية . وأن هذه الأخيرة كانت قد كاتبته تطلب حضوره عندها لمبايعته [78] . وعن موقف الأمير من المحافظة على السلم أخبر روش النقيب دوماس أن الأمير يريد السلم على الأقل لمدة قصيرة تمكنه من جمع الضرائب وتعويض خسائر حملة عين ماضي ، وان يتمكن الناس من جمع حصادهم ، وتعطي مصانع الأسلحة ثمارها . ومن أجل ذلك ، فإن السلم بالنسبة للأمير أمر ضروري يجب المحافظة عليه ما استطاع . واما إذا أراد المارشال فالي شق الطريق لربط بين مدينة الجزائر وقسنطينة ، فأن الأمير سوف يعلن الحرب لا محالة . واستمر يقول أن الأمير كاتب كلا من الملك لويس فيليب ، ووزير الحربية ، وأعضاء مجلس النواب الفرنسي ، يطلب المحافظة على السلم وذلك لأن وكلاءه ، ميلود بن عراش ، وابن دران ، وبوضربة ، أكدوا له أن المارشال فالي مصمم على نقض المعاهدة بأدخاله على نصها بنود اضافية [79] وأكد روش للنقيب دوماس في آخر محادثته معه أنه سوف يبذل أقصى جهده في خدمة بلاده ، ويعمل على رعاية مصالحها بكل الوسائل الممكنة . فنبهه دوماس إلى استغلال نفوذه على الأمير في أداء واجبه [80] .

وفعلا فقد بدأ روش بالاطلاع على أماكن الأمير الاستراتيجية لتخريب

مواقعها . ذلك أنه طلب من الأمير أن يمنحه مهمة تفتيش مصانع الأسلحة المتمركزة في مختلف المدن . وبلغ مراده ، وقضى أشهر مارس ، وأفريل ، وماي ، وجوان 1839 في تفتيش مصانع الأسلحة والذخيرة وكل المؤسسات الأساسية . وعمل على تحطيمها بدليل أنها لم تنتج شيئا يستحق الذكر منذ نشأتها . وأغلب الظن أنه عمل على تخريبها بمساعدة الفارين الفرنسيين الذين كانوا في خدمة الأمير ، وهم المكلفون بإدارة هذه المصانع وتسيير شؤونها . وكانت تربطهم به علاقة وثيقة حتى أنه تدخل لصالحهم لدى النقيب دوماس ، فراسله يطلب منه أن يبلغ رسائل العمال الفرنسيين الموجودين في تاقدامت إلى أهلهم [81] . وأكثر من ذلك ، وهو دليل قاطع ، فلقد توقف عمال مصانع تاقدامت الفرنسيين عن العمل مباشرة بعد قرار مجلس الأمير لاستئناف الجهاد ضد العدو ، «وكانوا ينتظرون روش بفارغ الصبر» [82] . ويقول روش أنه لما التقى بالأمير في شهر أكتوبر 1839 في مدينة تاقدامت أخبره (روش) أنه تم انشاء مصنع للأسلحة في تاقدامت ، ويقول أيضا أنه وضع فيه بعض الأسلحة على انها من انتاجه ، ولكن في الحقيقة حسب قوله — ان المصنع كان لا ينتج شيئا ذا معنى وانما وضع فيه الأسلحة لمخادعة الأمير فقط [83] .

ولما أعلن الجهاد وبدأت التجهيزات ، وكان الأمير في تاقدامت كما أنفنا ، والتقى مع ليون روش ، فسأله عن موقفه من استئناف الجهاد ضد العدو ، فلم يملك روش نفسه حينئذ وأعلن له أنه لا يريد مقاتلة (فرنسا الأم التي تحمي اخوانه) . ولما أكد عليه الأمير أنه كمسلم يجب أن يعادي أعداء الله ، انفجر روش في وجه الأمير وأعلنها له صراحة أنه لم يكن مسلما أبدا . فحاول الأمير تهدئته ، لظنه أنه منفعل فقط . ثم ان الأمير ترك روش وشأنه ، وربما إلى أن يفاتحه في الموضوع مرة أخرى . ولم يعط للموضوع أهمية كبيرة حتى أنه لم يخبر أحدا بما بدر من روش . وسافر الأمير في نفس الأسبوع إلى تلمسان لتنظيم شؤون دولته دون أن يترك أية أوامر تخص روش [84] .

قرر روش العودة إلى الجيش الفرنسي ، وانتهز فرصة غياب الأمير ، وأخذ كل ما يحتاجه وتوجه نحو مدينة وهران . وخادع المسلمين بقوله أن الأمير قد بعثه

في مهمة إلى مدينة مليانة ليتفقد مصانع الأسلحة . وذلك ليتجنب متابعتهم له اذا علموا بحقيقة أمره . ومن بين الوثائق التي أقر روش أنه أخذها معه ، خريطة جغرافية الجزائر ، كان قد أحضرها ميلود بن عراش وجهاز بوصلة ، وخاتمه بصفته كاتبا للأمير ، وعددا من الرسائل استعملها في شكل برقيات ليخادع بها كل من يعترض طريقه . ولما وصل إلى منطقة معسكر وتلمسان ، أخبر من اعترضه من الأهالي أنه ذاهب في مهمة إلى هاتين المدينتين بأمر من الأمير . فساعده المسلمون لذلك على معرفة المواقع . ولما دخل اقليم وهران ، التقى ببعض المسلمين ، فأستوقفوه ، فأظهر لهم بعض الرسائل عليها خاتمة ، وقال لهم أنه يحملها إلى وكيل الأمير في وهران ، وسلم لهم تذكرة بأسمه أثبت فيها أقواله . واستطاع روش بعد ذلك أن يصل إلى مركز الجيش الفرنسي في الكرمة صحبة رفيقه ايزدور . وانتقل من هناك إلى مقر حاكم اقليم وهران [85] .

وهكذا يكون روش قد التحق بجيش الأمير في فترة كانت فرنسا تجهز نفسها إلى حملة انتقام واحتلال ضد قسنطينة . فكان عليها أن تركز كل جهودها لقمع المقاومة الجزائرية في شرق البلاد . وقد فعلت واحتلت قسنطينة في 27 أكتوبر 1837 . وفي هذه الآونة بالذات ، التحق روش بالأمير عبد القادر ليتجسس عليه ويلعب على ذقون المسلمين باسم الاسلام . فانخدعوا له وأطلعوه على جميع أسرارهم ومصادر قوتهم . فألم بما فيه الكفاية وبلغ مراميه . ويا ليته اكتفى بذالك فقط ، ولم يعمل على تخريب منشآت الأمير الصناعية والحربية التي كان المسلمون يضعون فيها أملهم ويتوقعون بواسطتها انتصارهم على العدو .

وأهم نقطة اطلع عليها روش الجاسوس هي مصدر قوة المسلمين ومنبع حيويتهم المتمثلة في تمسكهم بدينهم .

فلقد كان المسلمون في الجزائر لا يملكون الأسلحة الحديثة ، ولا الذخيرة للمصانع ، ولا أموالا طائلة على الأقل لشراء كل ما تحتاج إليه الحرب من تجهيزات . وانما كان التمسك بالدين هو القلب النابض عند جميع المسلمين ، غير أن نقطة ضعفهم كانت تكمن في اختلاف الطرق الدينية التي كانوا يتبعونها . .

وعرف روش كل ذلك ، واطلع على أدق أمور المسلمين وعاد إلى الحكام الفرنسيين في وقت كانت فيه فرنسا في أشد الحاجة إلى مثل هذه الأخبار الدقيقة النادرة والتي كان محرما عليها معرفتها .

وختاما لهذا الفصل ، نقول أن روش أفاد بلاده سواء كان قد التحق بالأمير من تلقاء نفسه أم كان ذلك بأيعاز، من الضباط الفرنسيين . وعلى كل حال فلقد جازته فرنسا خير الجزاء ، وقلدته رتبا هامة في جيشها ، وكلفته بمهام أشد خطورة على المسلمين من التجسس عليهم ، وخولته مناصب حكومية عالية .

وسيأتي الحديث عن مهمة روش داخل الجيش الفرنسي بعد فراره من عند الأمير وعودته إلى اقليم وهران في الفصل الموالي .

الفصل الثالث

ليون روش في الجيش الفرنسي
(1844-1839)

الفصل الثالث

ليون روش في الجيش الفرنسي (1839 — 1844).

كانت السلطة الفرنسية في الجزائر تحكم بالأعدام على كل فرنسي أخلص في خدمة الأمير. وكان الجندي مونسيل (Moncel) أحد ضحايا هذه الاجراءات [86]. فقد أعدمته المحكمة العسكرية في شهر أكتوبر 1837 م (1235 هـ)، عقابا له على ما قدمه للأمير من خدمات حسب قولهم [87].

ويزعم بعض الكتاب الفرنسيين أن ليون روش قد أخلص في خدمته للأمير، وأن الفضل يرجع له في انشاء مصانع للأسلحة والذخيرة وتطويرها، وتنظيم الجيش، وتجهيز القوات الاسلامية، وتغيير النظام الداخلي والاداري لدولة الأمير [88]. وأكثر من ذلك تأثيره على علاقة الأمير الخارجية مع فرنسا، اذ عمل على افشال مهمة الرائد دي صال، مبعوث المارشال فالي، سنة 1839 م (1255 هـ) [89]. وانه قدم نصائح استراتيجية كثيرة للأمير، فاقترح عليه أن يغير مقر عاصمته من مدينة معسكر إلى مدينة سعيدة ليتوسط مواقع القبائل. ومن ذلك يستطيع السيطرة عليهم فتجتمع حوله كلمة المسلمين، وتسهل عليه عملية جمع الضرائب، وبناء أسس دولته بعيدا عن أشغاب الفرنسيين [90]. واستخلصوا في النهاية أن روش قد أنكر شخصيته الفرنسية نهائيا، ولم يعد يفكر الا في بناء مستقبله إلى جانب الأمير [91]. واذا صدقنا كل ذلك أليست هي أدلة كافية لاعدام روش ؟.

ان الباحث اذا حقق النظر جيدا في نظام الأمير العسكري، والاداري، وجميع الأسس التي وضعها لدولته الناشئة، يلاحظ بسرعة أنه استمد كل ذلك من النظم الاسلامية في العهود الزاهرة حين كان الفرنسيون، بل الأوربيون،

يعيشون في عصر الظلمات . واذا اعتقد الفرنسيون أن تنظيم الفرق العسكرية وتقسيمها إلى فصائل ، وكتائب ، وفيالق ، قد اقتبسه الأمير من التنظيمات العسكرية الفرنسية بأيعاز من ليون روش ، فإن السؤال المتبادر إلى الذهن هو من أين هذا لليون روش ذلك الضابط الشاب البسيط الذي كان عمره لا يتجاوز الثلاثين ؟ .

ولكن بناء على الأقوال الآنفة الذكر ، فقد كان من الانصاف أن تنفذ الحكومة الفرنسية حكم الاعدام في ليون روش بتهمة خيانته لبلاده ، والعمل على تقوية العدو ضدها . فاذا كانت قد أعدمت الجندي مونسيل عقابا له على قتله صف ضابط فرنسي كانٍ قد قسا عليه وتجبر ، فانتقم هذا الجندي لنفسه وانقذ نفسه من موت كان محتوما ، ثم هرب إلى المسلمين . ماذا فعلت السلطة الفرنسية مع ليون روش ؟ .

لقد وصل روش إلى مدينة وهران في منتصف شهر نوفمبر 1839 م (1255 هـ) ، بعد أن قضي حوالي عامين إلى جانب الأمير . واستقبله الجنرال جيهينوك (Guéhéneuc) ، حاكم اقليم وهران ، بحفاوة ، واستجوبه بكل احترام وتقدير . وكان روش يعلن على أسراره بحرارة شديدة وبصوت عال . وكانت أهم المعلومات التي قدمها إلى الجنرال تتعلق بأعلان الأمير عبد القادر للجهاد ضد فرنسا ، وانه يجوب ولاياته ويجهز قواته . وأكد له أن الحرب سوف تندلع في الشتاء القادم . وقال الجنرال جيهينوك في رسالته بتاريخ 14 نوفمبر 1839 ، إلى المارشال فالي ، أنه استجوب روش ، وأنه سيرسله إلى الجزائر لمقابلته على متن الباخرة فوتور (Vautour) بقيادة النقيب مارسو (Marceau) [92] . وفي هذا الحين كان الأمير عبد القادر قد أعلن الجهاد في جميع مساجد دولته وأمر جميع المسلمين بشراء الأسلحة والذخيرة ، والخيول والاعداد للحرب . ولما علم بفرار ليون روش من تاقدامت ، اغتاض لذلك كثيرا وأمر بمصادرة جميع ما يملك . وحسب قول الجنرال جيهينوك في رسالته إلى المارشال فالي ، بتاريخ 16 نوفمبر 1839 م (1255 هـ) ، ان أحد عيونه أخبره أن الأمير زوج امرأة روش إلى أحد المسلمين وسلم له منزله [93] .

ولما وصل روش إلى الجزائر ، استقبله المارشال فالي على الانفراد وتلقى منه جميع المعلومات الدقيقة الخاصة بأحوال الأمير العسكرية والاقتصادية والاجتماعية ، ومواقفه السياسية . وعينه مترجما محلفا من الطبقة الثانية [94] . ثم كلفه بكتابة كل ما يعرفه عن الأمير ، وان يحصي له كل القبائل الخاضعة له بأسمائها وأسماء شيوخها ، وعدد رجالها ، وعدتهم ومصادر قوتهم . وان يعين أسماء الذين ينوون ولاءهم لفرنسا . وعين المارشال السيد بير بريجر (Berbregguer) ، محافظ متحف الجزائر آنذاك ، لمساعدة روش في أداء مهمته على أحسن وجه . وكان روش أهلا لها ، واعتمد على وثائقه فيما يخص المعلومات الاحصائية ، وتبوغرافة القبائل [95] . ولما وصلت تقاريره إلى باريس استدعته الحكومة الفرنسية في شهر جانفي 1840 م (1256 هـ) . وتقابل روش هناك مع عدد من الوزراء وكبار رجال الدولة ، منهم الدوق دورليون (D'Orléans) ، وزودهم بمعلومات كثيرة بالاضافة إلى التي قدمت لهم كتابيا من الجزائر عن أحوال الأمير . فجازوه خير الجزاء ورفعوا رتبته إلى مترجم من الطبقة الأولى ، وعينوه إلى جانب الدوق دورليون ، واصطحبه إلى الجزائر في أوائل شهر أفريل سنة 1840 م ، لقيادة المعارك ضد الأمير [96] .

غير أن المارشال فالي لم ير فائدة من اقامة روش في مدينة الجزائر ، فالحقه بمركز المترجمين العسكريين بالبليدة بهدف تنظيم اتصالات مع معارفه من رؤساء القبائل ، وجمع المعلومات ، والتعرف على أخبار الأمير [97] . وكلف روش أثر ذلك بعدة مهام جاسوسية في مدينة القليعة ، لمراقبة مسلمي الحجوط الذين يعملون على «نشر الفوضى والبلبلة في نواحي الجزائر» [98] . كما شارك في عدة حملات عسكرية مع المارشال فالي في خريف سنة 1840 م ، ورافق الجنرال شانجارني (Changarnier) في تموين مدينتي مليانة والمدية . وعينه فالي مترجما رئيسا إلى جانبه ، خلفا لمترجمه ميلار (Muller) الذي مات في تلك السنة بعد أن أنهكته متاعب الحرب [99] .

ولما وصل الجنرال بيجو إلى الجزائر في أواخر شهر ديسمبر 1840 ، خلفا للمارشال فالي ، كان يحمل معه وصايا كثيرة من باريس في صالح ليون

روش ، فقدم له هذا الأخير تقارير مفصلة عن الأحوال العسكرية والسياسية لأقليمي الجزائر ووهران ، مكنته من التخطيط بدقة لعملياته العسكرية المقبلة ضد الأمير [100] . ولما انتصر الجنرال بيجو في حملته على مدينتي تاقدامت ومعسكر في النصف الأخير من شهر ماي 1841 م (1257 هـ) ، كان روش من بين الضباط الذين اثنى عليهم الجنرال في تقريره إلى وزير الحربية [101] .

وبعدما احتفل بيجو بانتصاره في هذه الحملة ، في مدينة الجزائر ، فكر في نيل فتوى من كبار علماء المسلمين في تونس ، تحرم على مسلمي الجزائر محاربة المسيحيين ، وذلك لتشتيت جمع المسلمين من حول الأمير ، وهو أمر لم يكن قد خطر على بال أحد الحكام الفرنسيين السابقين له ، بل ما كان ليهتدي له هو نفسه لولا أراء ليون روش . فقد سمع بيجو قول الأمير أثناء مفاوضات اتفاقية تافنة ، « انكم تتحدثون عن دينكم ... لو كنتم مسيحيين ... لكنتم من أحسن أصدقائنا ، اذ أن القرآن ... يأمرنا بالسلم ... واحترام دين عيسى ابن مريم ... » [102] . ولكن بيجو ، كرجل عسكري ، لم يكن يهتم بالأمور الدينية ، وكان يجهل سر قوة المسلمين . وكان روش هو الذي يعلم أن قوة المسلمين تكمن في تمسكهم بدينهم . ولذا عمل من جهته على اقناعهم بأن دينهم يحرم عليهم محاربة أهل الكتاب ، وان لا يرموا بأنفسهم إلى التهلكة ، ويقاتلوا عدوا أكثر منهم عددا وعدة .

وكان روش هو الرجل الذي وقع عليه اختيار بيجو للقيام بهذه المهمة . وذلك لكونه يتقن اللغة العربية ، ومطلع على عادات وتقاليد المسلمين ، وله معارف كثيرة من كبار شيوخ القبائل وهم يثقون فيه لاعتقادهم في اسلامه [103] .

وليس المقصود هنا تتبع خطوات هذه المهمة ، وانما هو فقط ابراز الأدوار الخطيرة التي قام بها هذا الرجل ضد الجزائر خاصة ، والمسلمين كافة .

وسلم الجنرال بيجو لروش ، بتاريخ 19 جويلية 1841 رسالة منه إلى قنصل فرنسا العام في تونس ، يوصيه بمساعدة روش في القيام بمهمته السرية ،

ومستهلها : J'ai l'honneur de vous informer que je donne à M. Léon Roches, interprète principal, une mission secrète dans l'intérieur de l'Afrique, et que les circonstances exigent qu'il passe par Tunis...) (104)

وكان روش قد بعث برسول إلى التيجاني ليشرح له هدف المهمة التي ينوي القيام بها ، وطلب منه أن يعمل على جمع كلمة رؤساء طريقة الطيبية ، وخليفة الزيّان ، وأولاد سيدي الشيخ ، لنيل موافقتم . وقد استبشر التيجاني بهذه العملية التي كان يرى أنها سوف تبعث الهدوء في نفوس المسلمين الذين يحرضهم الأمير عبد القادر على الحرب ضد فرنسا . واستدعى التيجاني مقدمي الطرق المحالفة له واتفق معهم على أن يطلب كل منهم من رئيس طريقته اختيار ممثل له للتوجه إلى القيروان في 19 جويلية 1841 م حسب التاريخ الذي حدده روش . وقد امتثل كل الرؤساء إلى مطلب التيجاني ، واصطحبت قوافلهم ليون روش إلى تونس (105) .

وكان روش ، لما وصل إلى تونس مع هذه القوافل ، يرتدي لباسا اسلاميا . فسلمه القنصل الفرنسي جواز سفر إلى مدينتي صفاقس وقابس ، بتاريخ 7 أوت 1841 . وواصل روش سيره بلباسه الاسلامي ودخل مدينة القيروان . واستطاع ، بمساعدة رفقائه من أتباع الطريقة التيجانية ، أن ينال الفتوى من مجلس علماء القيروان . ولتدعيم هذه الفتوى ، واصل روش رحلته إلى الحجاز ، مرورا بمصر ، وصادق علماء الأزهر ، وشريف مكة والطائف على محتوى هذه الفتوى . ثم بعث روش بنصها إلى الجنرال بيجو قبل نهاية سنة 1841 . واستقر هو في روما إلى أن أمره الملك لويس فيليب ، بالعودة إلى الجزائر في ماي 1842 (106) .

وخلاصة هذه الفتوى (107) هي «يجب على المسلمين مهادنة الكفار الذين غزوا بلادهم (أو أراضيهم) بالقوة ، وذلك اذا لم يؤذ هؤلاء نساءهم ، وأطفالهم ، وسمحوا لهم بممارسة دينهم وتركوا لهم حرية ايمانهم» (108) .

وعمل الفرنسيون على توزيع هذه الفتوى على القبائل ، وشاعت أخبارها في القطر الجزائري ، وأعجب بها المسلمون الذين ضعفت قوتهم ، وفضلوا الراحة على الجهاد ، حتى أنهم كانوا ينادون ليون روش بإسم (الحاج عمر) . وكتب الجنرال لاموريسيار ، من اقليم وهران إلى بيجو يخبره مستبشرا بتأثير الفتوى في نفوس المسلمين فتواروا عن القتال [109] . ولذا كتب بيجو بدوره إلى وزير الحربية ، بتاريخ 23 نوفمبر 1841 ، يقول «لقد كان سفر روش إلى مكة وانجراره وراء الحجاج ، أمرا لم أرضه . ولكن ، نظرا لما كسبناه من وراء ذلك من الناحية السياسية المحضة ، فقد نال اعجابي وصالحته على السعي المحمود» [110] .

وبعد ذلك بقليل ، أعد بيجو خاتما نقش عليه الشطر التالي من الآية الكريمة «ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعقبة للمتقين» [111] ، استعملها منذئذ في جميع مراسلاته مع المسلمين لكسب ولائهم لفرنسا بأسم الدين . وأغلب الظن أن روش هو الذي اقترح ذلك على بيجو ، لأن هذا الأخير كان لا يعرف اللغة العربية ، وليس له اطلاع على كتاب الله .

واثناء اقامة روش بالجزائر ، كلفه المارشال بيجو بمرافقة السيد دوماس ، مدير المكتب العربي ، لاستقبال رؤساء قبائل اقليم التيطري الذين وصلوا الى الجزائر في 2 جويلية 1842 ، لأداء يمين الوفاء لفرنسا امام الحاكم العام . واقتصرت مهمة ليون روش هذه المرة على مشاركة السيد دوماس في حسن اختيار بعض الاشخاص من بين المئة والخمسين الحاضرين ، وتقديم قائمة بأسمائهم للمارشال ، ليتم تعيينهم بعد ذلك ، على رأس مختلف قبائل اقليمهم ، ويحكموها بأسم فرنسا [112] .

وواصل روش مهمته في تشتيت المسلمين من حول الأمير ، واعتمد في ذلك اعتمادا كليا على معارفه من أتباع الطريقتين التيجانية والطيبية اللتين تكنان عداء قديما للأمير ، وكثف نشاطاته خلال سنتي 1842 م 1843 م (1258 — 1259 هـ) . ويرجع له الفضل في انتصارات الدوق دومال على زمالة الأمير في معركة وادي ايسلي في شهر آوت 1844 م (1260 هـ) . ونال

بذلك مكافأة المارشال له برتبة فارس فرقة الشرف [113] .

وأصبح روش ، المترجم الرئيسي الأعلى للجيش الافريقي ، من أبرز رجال فرنسا الاكفاء ، إلى جانب بيجو الذي استمر في مطاردة الأمير على الحدود الجزائرية المغربية . وكان الأمير كلما وقع عليه الضغط من طرف الفرنسيين ، يدخل إلى القطر المغربي ليزود جيشه بالأسلحة والذخيرة والمؤن . وكانت بعض القبائل المغربية الصحراوية قد دخلت تحت ولائه [114] . ففكر المارشال بيجو في محاصرة الأمير ، والضغط عليه من ناحية المغرب . فطلب من ليون روش أن يساعد الجنرال دي لاري (de la Rue) في وضع خريطة جغرافية يبين فيها الحدود الجزائرية المغربية ، بناء على الوثائق العثمانية . وبالاضافة إلى هذه الأعمال ، كان روش يمارس نشاطاته الجاسوسة . فقد نظم جهاز مخابرات مع الأهالي الموالين لفرنسا . وتسربت عيونه داخل الجيش المغربي في مركز (للا مغنية) بقيادة الأمير مولاي محمد بن مولاي عبد الرحمان . ولما كان هذا الأخير يعقد اجتماعا سريا مفاده مساعدة الأمير عبد القادر ، كان أحد رجال روش حاضرا يصغي ، فأفاده بكل القرارات التي اتخذت في هذا الاجتماع [115] . كما انتشرت عيونه أيضا في مدينتي وجدة وتازة . وتجمعت لديه بذلك معلومات دقيقة حول عدد الجيش المغربي ، وعدته وفعالية أسلحته [116] . واستطاع بعد ذلك أن يكشف مراسلات مولاي محمد السرية مع أبيه ، ومن بينها رسالة يأمره فيها بالتوقف في مدينة تازة ، وينصحه بأقامة السلم مع فرنسا ، نظرا لضعف قوة المسلمين . وأن يعمل على أبعاد الأمير عبد القادر — حسب قول روش — ومطاردته دون جلب نظر القبائل [117] .

فتحمس حينئذ المارشال بيجو — بعد الاطلاع على هذه الرسائل — إلى مضايقة الجيش المغربي أكثر من ذي قبل . وأمر الأمير جوانفيل (Joinville) بقنبلة مدينتي طنجة والصويرة [118] . واستطاع أن ينتصر في الأخير ، ويعقد معاهدة سلم مع الأمير مولاي محمد ، في 10 سبتمبر 1844 م ، سميت (بمعاهدة طنجة) . وكان شرط بيجو الأساسي هو أن تتعهد حكومة المغرب بمنع المساعدات على الأمير عبد القادر ، وطرده من القطر المغربي ، أو عزله ونفيه في

احدى المدن من جنوب المملكة (119) . واكتفى مولاي محمد بالاستفادة من وقف القتال . وكتب السلطان مولاي عبد الرحمن إلى الأمير يطلب منه حل جيشه ، ويستدعيه عنده ، وتعهد بأكرامه . ثم كلف الشيخ حميدة ، قائد مدينة وجدة ، بأرسال وفد إلى الأمير يطلب منه أن يبتعد عن حدود المغرب ، ويهدد القبائل المغربية التي تساعده . ولما فشل هذا الوفد ، كتب السلطان المغربي إلى الحكومة الفرنسية يقول لها انه لا يأبى ايفاد جيش لمحاربة الأمير ، العدو المشترك ، ولكنه متخوف من نشوب الفوضى والاضطرابات داخل مملكته ، لأن القبائل التي آوت الأمير لا يمكن أن تسلم فيه حتى ولو كلفها ذلك محاربة سلطانها الشرعي . ولذا فضل مجابهة الموقف بالطرق السلمية (120) .

وبهذا تكون فرنسا قد حصلت على انتصارات عسكرية وسياسية بفضل جهود ليون روش ونشاطاته المتواصلة في متابعة الأمير ، والضغط عليه من كل ناحية . خاصة وان روش يعلم جيدا مدى اتكال الأمير على المغرب في تدعيم جيشه بالأسلحة والذخيرة وغيرها . فارتفع مقام روش عند كبار العسكريين الفرنسيين ورجال الساسة .

وسوف نتناول في الفصل الموالي مهمة روش الدبلوماسية في المغرب . التي كانت نتيجة انتصارات الأمير عبد القادر الكبيرة على الجيش الفرنسي سنة 1845 م (1261 هـ) ، وتردد السلطان مولاي عبد الرحمن في تنفيذ ما تعهد به في معاهدة طنجة لمطاردة الأمير . ولم تقتصر أهداف هذه المهمة على ارغام السلطان المغربي بالوفاء بعهوده ، والقضاء النهائي على الأمير ، وانما تعدتها إلى اقصاء النفوذ الانجليزي وتوطيد العلاقات الفرنسية المغربية ، وزرع بذور الاستعمار الفرنسي لاحتلال المغرب نفسه عن قريب .

الفصل الرابع

ليون روش في المغرب
(1847-1845)

الفصل الرابع

ليون روش في المغرب (1845 ــ 1847) .

ما ان أمنت فرنسا جانب القوات المغربية بمقتضى معاهدة طنجة (سبتمبر 1844) ، وضمنت عداء سلطان المغرب للأمير عبد القادر ، حتى بدأت تعمل على محاصرة الأمير داخل التراب المغربي ليتسنى لها بذلك مضايقة مولاي عبد الرحمن ووضعه أمام الأمر الواقع للوفاء بوعوده .

واعتنى الجنرال دي لاري والرائد مار تمبرى (Martimpry) بتسطير الحدود الجزائرية المغربية بناء على الوثائق العثمانية وتم اختيار ليون روش للدخول في محادثات مع سيدي حميدة بن علي ، وسيدي أحمد بن الخضير ، ممثلي السلطان في مدينة وجدة . وكلف روش بتحضير الأسس التي سيتم عليها تحرير بنود المعاهدة . واستطاع اقناع مفوضي السلطان بحتمية وضع الحدود الجزائرية المغربية وفقا للوثائق العثمانية ليتم السلم نهائيا بين فرنسا والمغرب (121) .

ووقع الجنرال دي لاري وممثلو السلطان ، بعد مفاوضات عديدة ، على مشروعي المعاهدة في 18 مارس 1845 في مركز للا مغنية . وعرفت المعاهدة بإسم للامغنية . وكان الجنرال دي لاري هو الذي قام بتحرير المشروعين . وينص المشروع الأول على موافقة السلطان المغربي على تسطير الحدود الجزائرية المغربية طبقا للوثائق العثمانية ، والاعتراف بسلطة فرنسا على الجزائر ، وحقها في متابعة القبائل الجزائرية الخارجة عليها داخل التراب المغربي . وينص المشروع الثاني على حرية التجارة البرية بين فرنسا والمغرب (122) .

وبينما سافر روش إلى باريس وحصل على موافقة الملك لويس فيليب على بنود المعاهدة ، رفض مولاي عبد الرحمن المصادقة عليها لأنه كان يرى فيها اهانة

لكرامته والمس بمصالحه الاقتصادية ، واعتبرها مخالفة للشريعة الاسلامية [123] .

وكان الجنرال دي لاري في الجزائر ينتظر عودة روش من باريس . وما ان علم برفض السلطان المغربي حتى أسرع إلى ارسال روش ، اثر عودته من باريس في 12 ماي 1845 إلى طنجة لبحث المسألة من قريب مع المسؤولين المغاربة ، ويطلب منهم ارسال سفارة إلى باريس للتعرف على وجهة نظر الحكومة الفرنسية ، وتوثيق العلاقات الفرنسية ـــ المغربية [124]

وبدأ روش ينظم اتصالاته في طنجة ليكتشف عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى منع السلطان من المصادقة على مشروعي المعاهدة . واستعان في ذلك بخبرة السيد جياكومودي مارتينو (Giacomo de Martino) ، قنصل نابولي في طنجة [125] . وجاء في رسالته إلى الجنرال دي لاري بتاريخ 17 ماي أن الحاجز الوحيد الذي يمنع سلطان المغرب من المصادقة على المعاهدة هو مشروع الاتفاقية التجارية . لأن موافقة مولاي عبد الرحمن على حرية التجارة البرية بين فرنسا والمغرب سوف تؤدي إلى فتح نفس الطريق بينه وبين اسبانيا وأنجلترا . فتغرق بذلك السوق المغربية بالبضاعة الانجليزية دون أن تدفع هذه حقوق تجارتها [126] .

وبما أن روش كان يعلم أن الهدف الأساسي للعسكريين الفرنسيين هو القضاء على الأمير ، اقترح على الجنرال دي لاري بث دعاية مفادها أن الملك الفرنسي وقع فقط على مشروع مسألة الحدود ، ورفض المصادقة على مشروع الاتفاقية التجارية ، وأجل المفاوضة فيه إلى ما بعد مراجعة بنود المعاهدة [127] .

وكانت هذه خطة اخترعها روش لكسب مصادقة السلطان على مشروع وضع الحدود الجزائرية المغربية ، واجباره على تنفيذ ما تعهد به لفرنسا ضد الأمير وقبائل المغرب الريفية ، فيجني بعد ذلك ثمار «ما كسبت يداه» .

ولما وافق الجنرال دي لاري على هذا الاقتراح ، وأرسل لروش توقيعه على نص الخطة ، اعتمد روش على أسلوبه الخاص في محادثاته مع السيد أبي سلهام بن

علي مفوض السلطان في طنجة . وكان روش يفاوضه بإسمه الشخصي فإذا تضاربت آراؤه (أي روش) مع آراء حكومته ، سهل على هذه الأخيرة ان تحمله المسؤولية فلا يكلفها ذلك سوى تعين ممثل لها بدله .

وقد اضطربت الأحوال بين روش وأبي سلهام ، حين اتصل روش برسالة من محمد بن ادريس ، وزير السلطان ، موجهة إلى الجنرال دي لاري يخبره فيها بمصادقة السلطان على مسألة الحدود . وكان روش ينتظر الرد عن طريق أبي سلهام . بينما اتصل هذا الأخير بأمر من السلطان بأعادة تحرير نص المعاهدة [128] .

فلجأ روش حينذاك إلى استخدام ذكائه وأخذ المبادرة في التوقيع على رسالة للسلطان جاء فيها ان سلطان المغرب يعترف ببنود معاهدة للا مغنية الخاصة بمسألة الحدود وفقا للوثائق العثمانية ، ويوافق على عدم فعالية الاتفاقية التجارية إلى أن تفتح المفاوضات من جديد بينه وبين الملك الفرنسي .

وكان قصد روش من توقيعه شخصيا على نص الرسالة هو ترك باب المفاوضات مفتوحا أمام الجنرال دي لاري وذلك في حالة رفض السلطان المصادقة على مطالبه .

وجاء في رسالة روش إلى الجنرال دي لاري ، بتاريخ 20 جوان 1845 أن مولاي عبد الرحمن قد صادق على نص رسالته بما فيها البنود الثالث والرابع والخامس من معاهدة للا مغنية التي تنص على اعتراف المغرب بسلطة فرنسا على الجزائر ، وحق متابعة القبائل الجزائرية داخل التراب المغربي [129] .

ولقد انتصرت الدبلوماسية الفرنسية في الأخير على حساب قلة خبرة رجال حكومة المغرب بالشؤون السياسية . والا كيف نفسر مصادقة السلطان أو حتى ممثليه ، على نص رسالة حررها مجرد ممثل بسيط ؟ . فلقد كان من المعقول أن يطالبه السلطان وممثلوه بنص المعاهدة الأصلي الذي يحمل توقيع الملك الفرنسي على مشرع مسألة الحدود ، وتأجيله (المزعوم) لمشروع الاتفاقية التجارية . ان الملاحظ على موقف سلطان المغرب هو أنه رفض التوقيع في البداية تحت ضغط

الانجليز والاسبان الذين يرون في الاتفاقية التجارية المس بمصالحهم الاقتصادية وحتى السياسية . وربما كانوا قد اقترحوا عليه التوقيع فقط على مشروع مسألة الحدود ، وهو الأمر الذي تركه يصادق عليه بدون مناقشة .

وعاد روش إلى الجزائر ، وبلغ بانتصاراته هذه مرتبة كبيرة في نفوس العسكريين الفرنسيين حتى أشاد به كل من دي لاري والمارشال بيجو لدى السيد جيزو (Guizot) وزير الخارجية الفرنسي آنذاك [130] . بل ان بيجو طلب من جيزو تعيين روش في منصب قنصل فرنسا في طنجة [131] .

واستمرت المحادثات الفرنسية المغربية لتوطيد العلاقات بين الدولتين . وأرسلت الحكومة الفرنسية ليون روش مرة ثانية إلى طنجة في شهر أوت 1945 م (1261 م) من أجل تكوين سفارة مغربية توفد إلى باريس لبحث مستقبل العلاقات بين فرنسا والمغرب [132] . وأرسل السلطان المغربي من جهته أحد بني عمومته المدعو سيدي محمد بن سلطان مرور ، إلى الجزائر في أواخر شهر أوت من نفس السنة ليشرح للمارشال بيجو مواقف المغرب الودية تجاه سياسة الحكومة الفرنسية ويعمل معه على اقامة السلم على الحدود الجزائرية المغربية [133] .

وفي الوقت الذي كان فيه الجيش الفرنسي تحت قيادة الجنرال لاموريسيار [134] مطمئنا على نفسه في الاقليم الوهراني ، باغته الأمير عبد القادر بهجومات عنيفة في خريف سنة 1845 . وتمكن من القضاء على فرقة الكولونيل مونتاناك (Montagnac) وقتل هذا الأخير في معركة سيدي ابراهيم [135] في 23 سبتمبر ، وأسر الملازم الأول مارين (Marin) على رأس فرقة متكونة من مائة جندي . فانبعث بذلك الأمل من جديد في نفوس المسلمين ، وقامت مناوشات وبوادر الثورة على الفرنسيين في بعض أنحاء البلاد [136] .

وأثارت هذه الأحداث مخاوف الحكومة الفرنسية في باريس فأمرت بيجو بالعودة إلى الجزائر لتنظيم شؤون البلاد . وفي هذا الحين كان الجنرال لاموريسيار قد قرر متابعة الأمير داخل التراب المغربي والوصول إلى مدينة ملوية للقضاء على دائرته

ومعاقبة القبائل المغربية التي تسانده . وأصبح هذا القرار رسميا لما كاتبت الحكومة الفرنسية قنصلها في طنجة ، السيد دي شاستو ، تخبره بأخذ قرار متابعة الأمير في المغرب . غير أن المارشال سولت (Soult) ، وزير الحربية ، لم يلبث أن استفاد من نصائح روش ودي شاستو ، اللذين حذراه من خطورة الموقف . فأمر المارشال بيجو بالتوقف بقواته في مدينة ملوية والرجوع إلى التراب الجزائري بعد القضاء على دائرة الأمير [137] .

وكان لنصائح روش أثر كبير على سياسة فرنسا الخارجية تجاه المغرب . ومن بينها أن روش رأى في تدخل فرنسا عسكريا في تراب المغرب فرصة سوف يغتنمها الأمير لتكوين مملكة مستقلة في وجه فرنسا وسلطان المغرب معا . ولذلك فضل روش مواجهة الموقف سلميا واستعمال الأسلوب الديبلوماسي مع مولاي عبد الرحمن .

وكانت الحالة سيئة بالنسبة لفرنسا وتتطلب حلا عاجلا . فقررت هذه ايفاد روش مرة أخرى إلى طنجة في شهر نوفمبر 1845 ، حاملا شروطا جديدة لسلطان المغرب . وكان أهمها أن يرسل مولاي عبد الرحمن فرقة من جيشه إلى شرق البلاد تحت قيادة أحد الأمراء من أقاربه ، لاخضاع قبائل الريف . وان يعين السلطان القائد ابن عبو [138] على قبائل الريف ، وارسال سفارة مغربية إلى باريس لبحث العلاقات الفرنسية المغربية [139] . وأضاف روش إلى هذه الشروط مطلبا مفاده أن السلطان يتعهد بالبقاء في مدينة الرباط حتى ايجاد حل نهائي للأزمة القائمة [140] .

ولما وصل روش إلى طنجة وتقابل مع السيد دي شاستو ، سلم له هذا رسالة إلى محمد بن ادريس ، وزير السلطان ، يطلب منه استقبال روش ومساعدته في مهمته لدى السلطان وقبول شروط فرنسا [141] . كما دعمه أيضا قنصل انجلترا في طنجة ، السيد جون دريموند هاي (John Drummond Hay) [142] برسالة إلى ابن ادريس يطلب منه استقبال روش ويترجاه انصاف مطالب فرنسا العادلة [143] .

وعند وصول روش إلى مدينة الرباط على متن الباخرة ميتيور (Météore) استقبله ابن ادريس بحفاوة واكرام . وعرض عليه روش مطالب فرنسا المذكورة آنفا . وحدثه عن اشاعة الأخبار حول عدم ابلاغ السلطان رسائل الحكومة الفرنسية ، وأنه أتى للتأكد من ذلك ولينال موافقة السلطان على مطالب بلاده ، ثم سلم الشروط مكتوبة [144] .

وكان ذلك افتراء وكذبا من ليون روش ، وتلك هي دبلوماسيته لمخادعة ابن ادريس ليبرر مجيئه إلى الرباط .

ولرفع شأن فرنسا في نظر الوزير المغربي ، عمل روش على اضعاف قيمة انجلترا . وقال لابن ادريس وهو يسلم له رسالة القنصل هاي ، بأن فرنسا تربطها علاقة قديمة بالمغرب ، وما رسالة القنصل الانجليزي الا أمانة فقط وليست وساطة سياسية . وكان يرمي من وراء ذلك إلى أن فرنسا دولة قوية مثل انجلترا تربطها بها علاقة وثيقة تفرضها المصالح المشتركة [145] .

وقد استطاع روش بهذه العبارة محو التفوق الانجليزي ، الذي كان يشعر به المغاربة ، على فرنسا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تنبيه ابن ادريس إلى أن انجلترا تبارك مطالب فرنسا في المغرب .

واراد ابن ادريس ازالة شكوك روش في عدم ابلاغ السلطان مطالب السلطة الفرنسية ، فأحضر له في اليوم التالي ، توقيع مولاي عبد الرحمن على المطالب التي قدمها له روش . وما أن استلم روش المصادقة حتى طلب من ابن ادريس أن يلتمس له مقابلة السلطان ليتمكن بذلك من مواجهة الرأي العام في فرنسا الذي يقول انه أصر على اتهام السلطان بمخادعة الحكومة الفرنسية .

وكان الأمر سهلا على ابن ادريس في اقناع السلطان استقبال روش في 21 نوفمبر 1845 . ولما دخل روش على السلطان بادره بقوله أن الأمير عبد القادر يهدد عرش المغرب أكثر مما يهدد فرنسا نفسها لأن هذه قادرة على أن تمنع عليه دخول الجزائر . وانها أتت الآن لتضع نفسها في خدمة السلطان للقضاء على العدو المشترك وتعمل معه على اخضاع القبائل المغربية التي تساند الأمير . ثم قال

أنه «يجب تدعيم المحبة والاخوة بين فرنسا والمغرب ، وان ذلك لا يكون الا اذا قدم السلطان أدلة قاطعة تعبر عن حسن ارادته لتقتنع فرنسا بأن رسائلها وصلت إلى مسامع السلطان وان كل شيء يسير بأمره» [146].

ووقع مولاي عبد الرحمن في هذا الفخ الذي نصبه له روش لكي لا يجد مبررا «للهروب إلى الأمام» ليتجنب تنفيذ وعوده . وتعهد لروش بالعمل مع فرنسا لاقامة السلم ، وارسال جيش ضد الأمير لاضعاف قوته [147] . ووافق على تعيين ابن عبو ، باشا طنجة ، على اقليم الريف ، وذلك لما فيه بن «قدرة على تحمل المسؤولية» حسب قول روش . وسلم لروش رسائل موجهة إلى كل من الملك لويس فيليب ، والمارشال بيجو ، ودي شاستو ، وممثل عرشه في طنجة ، السيد أبي سلهام ، يخبرهم فيها بالاجراءات التي اتخذها [148] .

والظاهر أن مولاي عبد الرحمن قد قدر فعلا قوة فرنسا ، خاصة منذ أن قنبلت قواتها مدينتي طنجة والصويرة سنة 1844 ، دون أن تحرك انجلترا ساكنا . كما كان أيضا شعوره بالضعف من الداخل سببا في سرعة مصادقته على شروط الحكومة الفرنسية والموافقة على كل ما تقدم به روش .

وعمل روش اثر عودته إلى مدينة طنجة ، في أواخر شهر نوفمبر 1845 [149] ، على كسب عطف المغاربة تجاه فرنسا . وكان الوزير ابن ادريس قد ألحق به رسوله ، سي محمد بن سليمان ، يخبره بأن قبائل بني يزناسن قد رفضت الجهاد تحت أي لواء بدون أمر من السلطان مولاي عبد الرحمن . وهو ما يؤكد اخلاص حكومة المغرب في تنفيذ تعهداتها لفرنسا . فاغتنم روش فرصة البشارة ووضع في يد ابن سليمان عددا من النقود الذهبية ، وقال له انها مكافأة له وان «كل واحد يعطي حسب مقدرته . وانا بعيد أن أعطي الكثير» ، وان الحكومة الفرنسية سوف تقدم للوزير ابن ادريس مكافأة كبيرة تناسب مقامه اعترافا منها بمساعدته لروش في أداء مهمته [150] .

وكان روش يقصد رشوة رجال حكومة المغرب تحت غطاء الهدايا والمكافآت . ونستنتج من عبارة «وأنا بعيد على أن أعطي الكثير» انه يرمي إلى أن

الحكومة الفرنسية قادرة على أن تقدم للمغاربة أموالا طائلة اذا ما أخلصوا لها المودة والولاء .

ولما كان ابن عبو متخوفا من عواقب تعيينه على قبائل الريف ، فأن روش كان يقوي عزيمته . وقال له أن السلطان ما (اختاره) إلى هذه المهمة الصعبة الا ثقة منه في قدرته على قمع الفتن . ووعده بمساعدة فرنسا العسكرية والوقوف إلى جانبه كلما اقتضت الظروف ذلك ، ثم قدم له ، بالاشتراك مع دي شاستو ، مبلغا ماليا قيمته 40 دوبلون (Doublons) [151] كمصاريف أولية . وكتب روش إلى الحكومة الفرنسية يقترح عليها تقديم مبلغ 15 أو 20 ألف فرنك سنويا إلى ابن عبو لمساعدته على القيام بمصالح فرنسا [152] .

ولما علم روش بعزل السلطان لإبن حميدة عن ولاية وجدة بطلب من القبائل المغربية ، أسرع إلى مراسلة ابن إدريس بتاريخ 30 نوفمبر 1845 ، يطلب منه ضم هذه الولاية إلى قيادة ابن عبو . واقترح عليه خطة تنظيمية يجب على ابن عبو اتباعها . وهي أن يعين هذا نائبين له من الأهالي يقيم الأول في وجدة والثاني في قصبة سلوان قرب مدينة مليلة ، فيسهل عليه بذلك التحكم في القبائل ، وقال انه يجب على ابن عبو أيضا أن ينتهج مع الأهالي «سياسة القوة من جهة وسياسة الخداع من جهة أخرى» . وان السياسة الأخيرة لا يتسنى له تطبيقها إلا برشوة شيوخ القبائل [153] .

ومعلوم أن هدف روش الأساسي في ضم ولاية وجدة لاقليم الريف تحت قيادة ابن عبو ، هو محاصرة الأمير عبد القادر والقضاء على مصدر قوته التي كان يستمدها في المغرب من ولاء القبائل الريفية له .

وفي رسالة ثانية لأبن ادريس ، في شهر نوفمبر أيضا ، طلب منه روش ارسال قوات مغربية جديدة لمساعدة ابن عبو للسيطرة على قبائل الريف . وقال له أنه يعلم جيدا أن مثل هذه التجهيزات سوف تكلف السلطان مبالغ باهضة ، ولذا يرى أن الحكومة الفرنسية سوف لا تتأخر في تقديم جزء من نفقات تجهيز هذا الجيش لأن ذلك سوف يعود عليها بالخير . ويقول أن السلطان اذا انفرد

بالانفاق على تجهيز هذه القوات فأن أموال خزانته سوف تنفد . ثم ختم رسالته بقوله «انني بهذا الاعتبار أعتقد ، دون أن أمس بكرامتكم ، ان السلطان يستطيع الاتكال على أموال حكومتنا» (154) .

والملاحظ هو أن روش كان يريد من وراء هذه الاقتراحات كسب نفوذ جديد لفرنسا في المغرب عن طريق الرشوة . ولم تكفه رشوة الولاة مثل ابن عبو ، بل تعداه إلى محاولة اغراء السلطان المغربي نفسه بالأموال الفرنسية . وهدفه من هذا هو ربط العلاقة الفرنسية المغربية على المدى القريب والبعيد . وذلك بالقضاء على الأمير عبد القادر ، واخضاع القبائل الريفية للسلطان واجبارها على التخلي عن الأمير . ثم تملك فرنسا بعد ذلك شرعية التدخل في المغرب ، وتحق لها الأسبقية في ربط علاقتها معه ، وابعاد النفوذ الانجليزي خاصة ، وهو ما كان يرمي إليه روش على المدى البعيد (155) .

وقد استطاع روش فعلا أن يقنع السلطان مولاي عبد الرحمن بارسال سفير له إلى باريس لبحث مستقبل العلاقات الفرنسية المغربية . واصطحب روش السفير المغربي ، الحاج عبد القادر بن محمد أشعاش ، إلى باريس ما بين 7 و 11 ديسمبر 1845 (156) .

وفي حين نالت الدبلوماسية الفرنسية انتصارات في المغرب ، كان الأمير عبد القادر ينظم غزوات متالية في الجزائر . وزحفت القبائل المغربية المساندة له نحو الحدود الجزائرية المغربية . واضطربت الأحوال في منتصف شهر مارس 1946 م (1262 هـ) . ولم يستطع ابن عبو السيطرة على قبائل الريف ووقع الخلل داخل جيشه بسبب النقص في الأسلحة والمؤن ، وعلف الخيول . وازداد امر ابن عبو ضعفا خاصة بعد الخلافات التي وقعت بينه وبين مولاي ابراهيم ، قائد جيش السلطان ، وكان السبب فيها مرابطي المنطقة الريفية الساخطين على ابن عبو . فاشتكى هذا أمره إلى القنصل دي شاستو . وكان مولاي عبد الرحمن متخوفا من اثارة قبائل شرق البلاد ضده . فاغتنم دي شاستو هذه الفرصة ، وقرر ايفاد روش مرة أخيرة إلى الرباط ، في شهر أكتوبر 1846 ، لأجبار السلطان على

أخذ قرار حاسم وفعال ضد القبائل الريفية لاعادة السلم في المنطقة [157] .

وكانت الحكومة الفرنسية قد وضعت ثلث الجيش الفرنسي « 110.000 رجل» [158] تحت تصرف المارشال بيجو للقضاء النهائي على مقاومة الأمير عبد القادر . وكان روش قد عين في السلك الدبلوماسي نهائيا ، في شهر فيفري 1846 . وتمسك برأيه القائل ان دخول فرنسا في حرب ضد القبائل الريفية الخارجة على السلطان المغربي ، فرصة سانحة أمام الأمير ليكتل القبائل من حوله ويجابه بها فرنسا والمغرب معا . فتقوم الفوضى في البلاد ، ويتعسر الأمر بعد ذلك على فرنسا في القضاء على الأمير . وفضل روش الطرق السلمية وعمل كل ما في وسعه ليجنب فرنسا هذه الحرب ويجعل السلطان المغربي يدخلها وحده .
كما عمل روش ، قبل توجهه إلى الرباط ، على اغراء القائد أبي سلهام بن علي ، ليتدخل لدى السلطان ويكسب القضية لصالح فرنسا . ثم نظم روش خطة لرشوة السلطان أيضا عن طريق أبي سلهام ودخل معه في محادثات سرية باسمه التخصي ، وابعد دي شاستولكي لا يتسك مفوض السلطان في مخادعة الفرنسيين ، وتعتبر المسألة رسمية من طرف الحكومة الفرنسية .. غير أن أبوسلهام أصر على كتمان الأمر آنذاك نظرا لتعكر الأمور ، وتأجيل ذلك حتى ينتهي السلطان من حل الأزمة القائمة . وتعهد أبو سلهام في الأخير انه سيفاتح السلطان في مسألة تزويد فرنسا له بالمال ، وقال ان أمله كبير في أن تكون النتيجة ايجابية [159] .

ولما وصل روش إلى الرباط ، توصل إلى اقناع مولاي عبد الرحمن بخطورة الوضع الذي يهدد عرشه . حتى ان السلطان اعتبر الأمير عبد القادر هو السبب الرئيسي في تصاعد المخاطر ضد عرشه . فأنتهى إلى ارسال قواته في الأشهر الأخيرة من سنة 1847 م (1263 هـ) ، للقضاء على الأمير ، واخضاع القبائل المغربية ، والعمل على مضايقة القبائل الجزائرية واجبارها على الرجوع إلى الجزائر والدخول تحت سيطرة الجنرال لاموريسيار .. وقد تم ذلك فعلا في أواخر شهر ديسمبر 1847 .

وانتصر روش في مهمته الدبلوماسية هذه في المغرب ، وقد ساعدته ظروف المسلمين وضعفهم كثيرا في تنفيذ آرائه المغامرة التي بدأها بتحرير شروط المعاهدة وصادق عليها السلطان ، وأنهاها بمحاولة رشوة رجال دولة السلطان ، وقد توصل إلى ذلك فعلا .

وخول له هذا الانتصار الانخراط في السلك الدبلوماسي ، اذ عيّن قنصلا في طنجة سنة 1846 . وشغل نفس المنصب في تونس ، وطرابلس ، وترياستا بالنمسة ، واليابان . وانتهى سنة 1870 إلى منصب وزير مفوض تقاعد بعده عن العمل . وكانت مهمته القنصلية في البلدان العربية قد تركزت خاصة على التبشير المسيحي (160) .

الخاتمـــة

الخاتمة

وصل ليون روش إلى الجزائر في منتصف سنة 1832 ميلادية لمساعدة أبيه في القيام بشؤون مزرعته . وقد اضطر إلى تعلم اللغة العربية ليسهل عليه الاتصال المباشر بالأهالي ، وخاصة منهم اجراء أبيه في المزرعة .

وكان روش يدرك جيداً مدى حاجة بلاده إلى مترجمين أكفاء ليكونوا وساطة بين الفرنسيين والجزائريين ، فدفعه هذا الشعور إلى الاهتمام بدراسة اللغة العربية ، والاطلاع على عادات وتقاليد المسلمين . ونال بذلك مرتبة مترجم محلف لدى اللجنة الافريقية الأولى سنة 1833 . ثم عينه المارشال كلوزيل في منصب مترجم رئيسي محلف في الجيش الافريقي سنة 1835 ، وأخذه معه في حملته على المدية في نفس السنة .

وكان روش ميالا للمغامرة ، فما أن دخل مدينة المدية مع الجنرال ديمشال حتى استأذنه في الاتصال بمعارفه من الجزائريين واغتنام الفرصة للأطلاع على رأي الأهالي في الباي محمد بن حسين الذي يأمل الجنرال تعينه على المدية . وكانت هذه أول مهمة جاسوسية يقوم بها ليون روش في الجزائر . وقد توصل إلى نصح الجنرال بأن تعين هذا الباي على المدية أمر لا يخدم مصالح فرنسا .

ولما عقدت الحكومة الفرنسية معاهدة التافنة مع الأمير عبد القادر في 30 ماي 1837 ، وتفرغت إلى الحملة الثانية على قسنطينة ، أسرع روش إلى الالتحاق بجيش الأمير بهدف التجسس على المسلمين تحت ستار الدين . وقد اعتقد المسلمون في اسلامه وعاملوه معاملة حسنة . فاستتب له الأمر بعد ذلك وبدأ يراسل الفرنسيين وأخبرهم عن جميع أحوال الأمير والمسلمين السياسية

والعسكرية والادارية والاقتصادية . ثم جعل يبث سمومه وسط المسلمين مبينا لهم أنه يريد تنويرهم واطلاعهم على الحضارة الفرنسية «الانسانية» وهو يقصد من وراء ذلك المس بوحدتهم وتشتيت صفوفهم ليتواروا عن محاربة الفرنسيين وقتالهم . فتتمكن فرنسا بعد ذلك من افراغ جم قواتها على شرق البلاد للقضاء على المقاومة الجزائرية .

أما هدف روش من اعتناق الدين الاسلامي ، والالتحاق بجيش الأمير ، فقد كان للتعرف على أحوال المسلمين والعمل على كسب ولائهم لفرنسا . وقد ظهر ذلك في رسالته إلى النقيب دوماس التي يقول فيها انه ما التحق بالأمير إلا خدمة لبلاده ، وانه سيفارقه عندما يستأنف الحرب ضد فرنسا .

وقد قربه الأمير منه وكان ينفق عليه من بيت مال المسلمين ، وعينه كاتبه الخاص ، واطلعه على جميع قرارات مجالسه السرية . وعلى ما نعلم فأن روش كان يقدم للأمير ملخصا باللغة العربية لما كانت تنشره الصحف الفرنسية . وأكبر الظن انه كان يخفي عليه حقيقة الأمر .

وتظهر مخادعة روش للمسلمين في اخفائه محتوى المهمة التي بعثه بها الأمير إلى التيجاني ليخبره أن الأمير ما يريد من وراء حملته على عين ماضي الا جمع كلمة المسلمين ضد العدو الفرنسي . بل أن روش عمل على تحريض التيجاني على محاربة الأمير من أجل اضعاف قوة المسلمين . ولم يكتف بهذه العملية التخريبية بل تعداها إلى اضعاف جيش الأمير من الداخل أيضا . فلقد سلمه الأمير قيادة فرقة الكراغلة أثناء المعركة ، فتركهم روش يبذرون الذخيرة رغم أنه كان ملزما بمراقبتهم . فكاد جيش الأمير أن ينهزم أمام التيجاني لولا الأسلحة والذخيرة التي وصلته من المغرب والجزائر .

ولم يتفطن الأمير لخيانة روش ، فراح يثني عليه وينوه بدوره في الحرب ومنحه وسام «الريشة» اعترافا منه له بالمجهود الذي بذله في هذه الحملة . واغتنم روش فرصة اعجاب الأمير به ، وطلب منه أن يمنحه مهمة تفتيش مصانع الأسلحة والذخيرة ، ثم عمل على تخريبها بالاشتراك مع بعض الفارين الفرنسيين

المكلفين بأدارة هذه المصانع .

غير أن ثقة الأمير في روش كانت كبيرة لدرجة أنه لما صارحه بأنه لم يكن مسلما أبدا لم يتخذ الأمير أي اجراء ضده ، بل تركه وشأنه وسافر إلى تلمسان . فاغتنم روش فرصة غياب الأمير ، وفر راجعا إلى الجيش الفرنسي في شهر نوفمبر 1839 ، بعد أن اطلع على أدق أمور المسلمين السياسية والعسكرية ، وعرف سر ضعفهم الذي كان يكمن في اختلاف تعاليم الطرق الدينية التي كانوا يتبعونها .

وبلغ روش كل ما جمعه من معلومات حول أحوال الأمير إلى حاكم اقليم وهران الذي استقبله بحفاوة واحترام وتقدير . فنال بذلك مرتبة مترجم محلف من الطبقة الثانية في الجيش الافريقي . وكلفه المارشال فالي بأن يحصي له كل القبائل الخاضعة للأمير ، بأسمائها وشيوخها ، وعددها وعدتها . واعتمد روش في ذلك على وثائقه ، خاصة فيما يخص المعلومات الاحصائية وتبوغرافية القبائل .

وارتفع شأنه عند كبار العسكريين والساسة الفرنسيين ، فاستدعوه إلى باريس سنة 1840 ، وتقابل مع عدد منهم فرقوه إلى رتبة مترجم من الطبقة الأولى . وعاد مع الدوق دور ليون إلى الجزائر في نفس السنة . والتحق بمركز المترجمين العسكريين بالبليدة وبدأ ينظم اتصالاته مع معارفه من رؤساء القبائل ، وجمع معلومات كثيرة عن أحوال الأمير . فبلغ بذلك مرتبة كبيرة في نفس الحاكم العام الذي عينه مترجما رئيسيا له .

ولما وصل الجنرال بيجو إلى الجزائر سنة 1840 ، قدم له روش تقارير مفصلة عن الأحوال السياسية والعسكرية لاقليمي الجزائر ووهران مكنت الجنرال من التخطيط بدقة لعملياته المقبلة ضد الأمير . فأعجب به الجنرال بيجو أيضا وأسند له مهمة الحصول على فتوى من علماء المسلمين في القيروان تمنع على المسلمين محاربة المسيحيين . فنظم روش اتصالاته مع التيجاني وحلفائه ، وسافر مع قافلتهم إلى تونس . واستطاع أن يأخذ الفتوى من مجلس علماء القيروان . ثم واصل رحلته إلى مصر والحجاز ، ودعم الفتوى من طرف علماء الأزهر ومكة

وبعث بنصها إلى بيجو في الجزائر .

وعمل الفرنسيون على توزيعها على القبائل ، وشاعت أخبارها ، وأعجب بها المسلمون الذين ضعفت قوتهم وفضلوا الراحة على الجهاد ، وصاروا ينادون روش بإسم «الحاج عمر ليون» .

وأصبح روش من أبرز رجال فرنسا الأكفاء إلى جانب بيجو وغيره . ولما كان الجيش الفرنسي في حرب ضد الجيش المغربي على الحدود ، كان روش ينظم عملياته الجاسوسية واستطاع أن يتعرف على عدد وعدة الجيش المغربي المتمركز في طنجة ووجدة وتازة ، وذلك بفضل عيونه المنتشرة في هذه المدن وغيرها . وقد مكنت هذه المعلومات الجنرال بيجو من الانتصار على الجيش المغربي ، وعقد معاهدة طنجة مع مولاي محمد في سبتمبر 1844 ، وتعهد فيها المغرب بمنع المساعدات المادية والمعنوية على الأمير عبد القادر .

وعلمت فرنسا على محاصرة الأمير من ناحية المغرب أيضا ، فعمد ضباطها إلى تسطير الحدود الجزائرية المغربية لوضع السلطان المغربي أمام الأمر الواقع للوفاء بوعوده . وحرر الجنرال دي لاري مشروعي المعاهدة الجديدة ــ معاهدة للا مغنية ــ ووقع عليها ممثلو السلطان في وجدة في 18 مارس 1845 . وكان مشروعها الأول يتعلق بتوضيح الحدود الجزائرية المغربية ، واعتراف سلطان المغرب بسلطة فرنسا على الجزائر وحقها في متابعة القبائل الجزائرية داخل التراب المغربي ، وينص الثاني علي حرية التجارة البرية بين فرنسا والمغرب ، وبينما وقع الملك الفرنسي على المشروعين ، رفض سلطان المغرب التوقيع على معاهدة كان يرى فيها المس بكرامته والمخالفة للشريعة الاسلامية .

فأسرعت فرنسا إلى ارسال روش إلى طنجة لبحث المسألة مع المغاربة ويطلب منهم ايفاد سفارة إلى باريس لبحث العلاقات الفرنسية المغربية . وراسل روش الجنرال دي لاري من هناك يطلب منه بث دعاية مفادها أن الملك الفرنسي قد وقع فقط على مشروع مسألة الحدود وأجل مشروع الاتفاقية التجارية إلى ما بعد مراجعة بنود المعاهدة . لأن السبب الرئيسي الذي منع السلطان من التوقيع

هو مشروع الاتفاقية التجارية لأنه يرى فيه فتح نفس الطريق أمام انجلترا واسبانيا فتغرق بذلك السوق المغربية بالبضاعة الأجنبية .

ولما اتصل روش برد الجنرال استطاع حينئذ أن ينال موافقة السلطان على هذه الخطة بما في ذلك البنود الثالث والرابع والخامس من معاهدة للا مغنية التي تنص على اعتراف المغرب بسلطة فرنسا على الجزائر وحقها في متابعة القبائل الجزائرية داخل التراب المغربي .

ولما قررت الحكومة الفرنسية متابعة الأمير في المغرب بعد خريف سنة 1845 ، نصحها روش بالتوقف في مدينة ملوية وحذرها من خطورة الموقف ، واعتبر تدخلها عسكريا فرصة سوف يغتنمها الأمير في تكوين مملكة ضد فرنسا والمغرب معا . وفضل مواجهة الموقف سلميا .

وعاد روش إلى طنجة في نوفمبر 1845 ، بشروط جديدة أهمها أن يرسل السلطان قوات من جيشه إلى شرق البلاد تحت قيادة أحد بني عمومته لاخضاع قبائل الريف ، وارسال سفارة إلى باريس لبحث العلاقات الثنائية مع فرنسا . وتحصل على موافقة السلطان على الشروط الجديدة ، وشرح له أن الأمير عبد القادر أشد خطورة على عرش المغرب من خطره على الجيش الفرنسي في الجزائر . فتعهد السلطان بالعمل مع فرنسا لاقامة السلم في البلاد . ووافق على تعيين ابن عبو على القبائل الريفية من أجل قمعها .

واتبع روش أسلوبا جديدا في دبلوماسيته ، وعمل على رشوة كبار المسؤولين المغاربة ، اذ جاء في رسالته إلى ابن ادريس في شهر نوفمبر 1845 : «انني ... أعتقد ، دون أن أمس بكرامتكم أن السلطان يستطيع الاتكال على أموال حكومتنا» في تجهيز قواته الجديدة لاخضاع قبائل الريف .

وكان روش يهدف إلى القضاء على الأمير من جهة ، وتوثيق العلاقات الفرنسية المغربية من جهة أخرى .

غير أن الأمير لم يستسلم لظروفه القاهرة ، فراح ينظم غزوات متتالية ضد الجيش الفرنسي حتى بداية سنة 1846 . واضطربت الأحوال من جديد بين فرنسا والمغرب ، وأرسلت الحكومة الفرنسية روش مرة أخرى إلى الرباط ليشرح للسلطان خطورة الوضع ، ويطلب منه ارسال فرق عسكرية ضدّ القبائل الريفية التي تعمل على تصاعد الخطر على عرشه . فانتهى مولاي عبد الرحمن إلى ارسال قواته في الأشهر الأخيرة من سنة 1847 للقضاء على الأمير والقبائل والمغربية التي تساندة ، والعمل على مضايقة القبائل الجزائرية واجبارها على الدخول تحت طاعة الجنرال لاموريسيار .

وهكذا يكون روش قد انتصر في جميع مهامه الجاسوسية والدبلوماسية وقد ساعدته الظروف في تنفيذ آرائه المغامرة ، التي بدأها بالالتحاق بالأمير عبد القادر والتجسس عليه وتخريب دولته من الداخل ، وأنهاها بكسب ولاء المغرب لفرنسا والقضاء على الأمير من الخارج .

وأملي أن يتنبه الجيل الصاعد إلى مثل هذه الشخصيات المتبوهة ويتناولها بالدراسة والتحليل ليكشف عن هويتها الحقيقية ذلك أن المظاهر خداعة وما أكثرها .

الهوامش

(1) حول هذه الهيئة انظر دراستنا (دور المترجمين العسكريين في الجيش الفرنسي بالجزائر) مجلة التاريخ، عدد 13، (الجزائر 1982).

(2) مجلة التاريخ، العدد الخاص بالذكرى المائوية لوفاة الأمير عبد القادر، الجزائر، 1983.

(3) مجلة سرتا، عدد 8 — 9، (قسنطينة، 1983).

(4) مجلة آمال، عدد 60، خاص، (الجزائر، 1984).

(5) انظر: Léon, Roches, Trente deux ans à travers l'Islam, Paris, 1884 — 1885, T.I pp. 7 — 9.

(6) انتهى كل منهما إلى رتبة جنرال، أنظر: Ibid, T.I. pp. 7 — 10

(7) أنظر: Marcel, Emérit, (la légende de Léon Roches) Revue Africaine, T. 41, (1947), pp. 83 — 105.

(8) لم أتمكن من معرفة المكان، ولكنني أعتقد أن يكون هو دالي ابراهيم الواقع حاليا بدائرة الشراقة ولاية الجزائر العاصمة.

(9) يقول روش انه اندفع إلى تعلم اللغة العربية ليستطيع التكلم مع فتاة جزائرية كان قد عشقها. ولكن الأرجح أنه كان مجبورا على تعلمها للاتصال مع أجراء أبيه في المزرعة اذ كان ملزما بذلك قبل التعرف على هذه الفتاة التي تدعى خديجة.

(10) أنظر. Roches, op. cit., T. 1 pp. 15 — 16.

Charles, Feraud, les interprètes de l'Armée d'Afrique, Alger, 1876, pp. 235 — 245.

Narcisse, Faucon, le livre d'or d'Algérie — (1830 — 1889), Paris, 1889, T.I, pp. 473 — 475

(11) ربما اختلط الأمر على روش ما بين وكيل الخرج والآغا. ولذلك أعتقد أنه يقصد ابراهيم آغا (1829 — 1830) صهر الداي حسين، آخر دايات الجزائر (1818 — 1830). عينه الداي خلفا ليحي آغا الذي شغل منصب الآغا مدة اثنى عشرة سنة (1818 — 1829). ونفاه الداي حسين ثم قتله بتهمة التدبير للاستيلاء على الحكم. وكان ابراهيم آغا ضعيفا لا يعرف خداع الحرب، ففشل أمام القوات الفرنسية بقيادة بورمون في معركتي سيدي فرج وسطاوالي سنة 1830.

فعزله الداي حسين بسبب ذلك وعين مكانه باي التيطري . (مع العلم أن منصب الآغا يعادل منصب رئيس القوات المسلحة) . انظر : حمدان بن عثمان ، خوجة ، المرآة ، تعريب العربي الزبيري ، الجزائر ، 1975 ، ص 183 — 199 .

(12) لغة كانت تتكلم في بعض مناطق شمال افريقيا . وهي خليط من العربية والفرنسية والايطالية والاسبانية كان يستعملها البحارة الجزائريون والتونسيون في علاقتهم مع الأوربيين .

(13) الظاهر أنها ابنة باي التيطري الذي خلف ابراهيم آغا . ويستبعد أن تكون ابنة يحي آغا لأن هذا الأخير ، لما عزله الداي حسين ، نفاه إلى مدينة البليدة . فمن الطبيعي أن يكون قد أخذ عائلته معه وذلك لكثرة أعدائه من كبار المسؤولين في مدينة الجزائر وعلى رأسهم الخزناجي .

(14) أنظر : Roches, op. cit . T.I, pp. 16 — 20

Emérit, (op., cit.,), pp. 83 — 105

(15) سياسي وعسكري فرنسي ، ولد سنة 1774 في مارك انتوفربار (اقليم الاردان Ardennes) . شغل منصب الحاكم العام في الجزائر ما بين سنة 1831 و 1833 . وتوفي . سنة 1833 اثر برض اصابه بباريس . امتازت فترة حكمه بالعنف العسكري وسفك الدماء .

(16) أنظر Roches, op., cit., T.I, pp. 22 — 27

F. Trumelet, le corps des interprètes militaires, Valence, 1881, pp. 17 — 20

(17) تزوجت خديجة ، قبل هذا الحدث ، من أحد أثرياء مسلمي الجزائر ، فأخذها معه إلى مدينة مليانة . أنظر : Roches, op., cit., T.I, p. 28 — 30

Léon, Roches, Dix ans à travers l'Islam (1834 — 1844), Préface de M. Carraby, Paris, 1904, pp. 22 — 27 .

(18) كان أبوه عمر باشا قد حكم الجزائر من سنة 1815 إلى سنة 1817 خلفا للخزناجي الحاج محمد باشا (حكم هذا الأخير يوما واحدا اثر مقتل الباشا علي غسول الذي دام حكمه من سنة 1809 إلى 1815) ، والذي قتله في أول يوم من حكمه وفي عهد عمر باشا تعرضت الجزائر لحملة اكسماوث (Lord Exmouth) سنة 1816 م أنظر : خوجة ، المرآة ، ص : 151 — 152 .

(19) أنظر : Roches, 32 ans, T.I, pp. 30 — 31

(20) توفي عمر باشا وترك زوجته حاملا . ولما وضعت حملها أطلقت عليه اسم عمر .

Roches, op., cit T.I, pp. 48 — 49.

Roches, Dix ans, pp. 22 — 27 .

(21) وصلت اللجنة الأفريقية الأولى إلى الجزائر في 2 سبتمبر 1833 م (1249 هـ) «وكان هدفها هو جمع المعلومات التي تنير الحكومة الفرنسية عن حالة الجزائر الحاضرة وعن مستقبلها» . وبالاضافة إلى الوفود المدنية والعسكرية في الجزائر والكلون وغيرهم ، استقبلت اللجنة وفود أعيان العرب الحضريين لتوضح لهم مهمتها . وكان رئيسها هو الجنرال بوني (Bonnet) ، وكاتبها هو السيد (Piscatory) ، النائب في البرلمان . وكان السيد لورانس (Laurence) مكلفا بالادارة والتشريع والقضاء . وأصبح ، بعد ذلك ، نائبا في البرلمان الفرنسي . أنظر : أبو القاسم ، سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر

الحديث بداية الاحتلال ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1976 ص 97 .

(22) في بداية الاحتلال كانت فرنسا تستقدم المترجمين من الجيش المصري (مثل دي لابورت ، وزكار) .
أنظر : Trumelet, le corps des interprètes, pp. 15 — 16 Roches, 32 ans, T.I, pp. 48 — 51.

(23) أنظر : Roches, 32 ans, T.I, pp. 50 — 51

(24) نفسه ، ص : 50 — 51 .

(25) أنظر : Roches, Dix ans, pp. 22 — 27.

(26) كان أغلب المترجمين العسكريين في بداية الأمر (سنة 1832) لا يرغبون في مواصلة هذه المهمة وكان عددهم واحدا وعشرين مترجما ، واحد منهم فقط يعرف الكتابة باللغة العربية ويتكلم قليلا اللغة الفرنسية . ولما عجز السيد دي لابورت على تكوين «فكرة» معهم ، قرر الجنرال دي روفيجو أنه ابتداء من أول جانفي 1833 بأن كل المترجمين يخضعون إلى امتحان عسير أمام لجنة تكون تحت رئاسة قائد هيئة الأركان العامة . فألح هذا الأخير على وزارة الخارجية الفرنسية أن تؤكد في الطلب من قناصلها في المشرق بأن يبلغوا النداء إلى كل من يريد الدخول في هيئة مترجمي جيش افريقيا . أنظر :
Trumelet, le corps des interprètes, pp. 15 — 16.

(27) أنظر : Roches, 32 ans, T.I, pp. 52.

Roches, Dix ans, pp. 22 — 27.

Feraud, les interprètes, pp. 235 — 245.

(28) أنظر : Faucon, le livre d'or, T.I, pp. 473 — 475.

Emerit, (la légende), pp. 83 —105.

(29) يقول السيد فور بأن المارشال هو الذي طلب من روش أن يصحبه في هذه الحملة ، مع أن روش نفسه يؤكد العكس ، ويقول أن الحملة كانت هامة جدا بالنسبة له ، لعله يسمع عن أخبار خديجة . ولكن الأرجح هو قول السيد فور وذلك لضرورة وجود ترجمان قادر على شرح أقوال الأهالي للمارشال خاصة عند تعيين البايي . أنظر : Roches, 32 ans, T.I, pp: 52 — 58

Le blanc, (capitaine), généraux et soldats d'Afrique, Paris, 1888, pp. 82.

(30) أنظر : Roches, Dix ans, pp. 22 — 27.

(31) أنظر : Faucon, le livre d'or, T.I, pp. 473 — 475.

Feraud, les interprètes, pp. 235 — 245.

(32) أنظر : Roches, 32 ans, T.I, pp. 52 — 58.

(33) أنظر : Roches, 32 ans, T.I, pp. 52 — 58 .

(34) وهو أيضا ما نلاحظه على مراسلات النقيب دوماس التي جمعها السيد ايفر ، اذ اكتفى هو الآخر بنشر الرسائل فقط ، وجعل بعض ملاحقها ضمن الباب الخامس بملاحق الكتاب ، وأهمل الباقي .
انظر : Gabriel, Esquer, Correspondance du Maréchal Clauzel, gouverneur général des possessions françaises dans le Nord de l'Afrique, Paris, 1948.

Georges, Yver, Correspondance du capitaine Daumas, consul de Mascara (1837 — 1839), Alger, 1912.

(35) Marcy — Monge جنرال فرنسي ولد في نويتس (فرنسا) في 17 فيفري 1796 ومات في بومارد (فرنسا) في 13 جوان 1863 . وكان ضابطا في المدفعية الفرنسية حتى سنة 1830 ، وشارك بعدها في الحملة الفرنسية على الجزائر في هذه السنة . انضم إلى فرقة الخيالة ، ونظم أول فرقة للصبايحية في الجزائر . ترقى إلى رتبة جنرال سنة 1848 ، وشغل منصب حاكم الجزائر العام ما بين جوان ونوفمبر من نفس السنة .

ولم يوضح روش نوع تشجيعات ما راى له . والظاهر أنه يكون قد شجعه معنويا على الدخول في صفوف الجيش الفرنسي ووعده بأن يقدم له يد المساعدة .

(36) أنظر : Roches, 32 ans, T.I, pp. 52 — 58

Féraud, les interprètes, pp. 235 — 245 .

Faucon, le livre d'or, T.I, pp. 473 — 475.

(37) أنظر : Henri, Ideville, Le Maréchal Bugeaud d'Après sa correspondance intime et desdocuments inédits (1784 — 1849). T. 2, Paris, 1882, pp. 55 — 71.

Georges, Yver, Correspondance du général Damrémont, (1ère série, correspondance générale, IV), (1837), Paris, 1927, pp. 493 — 494.

(38) تافنا اسم لنهر باقليم وهران يصدر من جبال بني سنوس ويصب في البحر الأبيض المتوسط على بعد حوالي خمسين كلم . أطلق اسمه على معاهدة (تافنا) (30 ماي 1837) ما بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو . ودامت سنتين (1837 — 1839)، لقد نصها العربي فترجم الفرنسيون النص الفرنسي واعتبروه هو النص العربي الأصلي . انظر . هنري تشرشل ، حياة الأمير عبد القادر ، ترجمة وتعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله ، تونس ، 1974 ، ص : 302 — 303 .

(39) أنظر : Roches, 32 ans, T.I, pp. 67 — 69.

Féraud, les interprètes, pp. 235 — 245

Emérit, (la légende), pp. 80 — 105 .

(40) انظر : Roches, op. cit., T.I, 62 — 64

Emérit, (op., cit.,), pp. 83 — 105.

(41) عندما عين النقيب دوماس قنصلا لفرنسا في معسكر في شهر نوفمبر 1837 ، كان الدكتور وارنيي بجانبه يساعده على أداء مهمته ، ويعمل على كسب عاطفة المسلمين ، ويجوب الحقول والوهاد لمعالجة مرضاهم . وكان من بين المرضى ابن الأمير عبد القادر . فنال وارنيي بذلك تعاطف المسلمين واعجابهم . أنظر : Yver, Corr. Daumas.

(42) أنظر : كتاب السيدة تورين (الاصطدامات الثقافية في الجزائر المستعمرة) الذي تناولت فيه تصادم الثقافة والطب الفرنسي بالثقافة والطب الجزائري من بداية الاحتلال إلى سنة 1880 . وهو كتاب قيم نستطيع أن نستخلص منه الطرق التي أنتهجتها فرنسا في فرض ثقافتها على الجزائريين وادماجهم في الوسط الفرنسي ومحاولة صبغهم بعادات وتقاليد أوربا

Yvonne, Turin, Affrontements Culturels dans l'Algérie coloniale. Ecoles, médecines, religion 1830 — 1880, Paris, F. Maspéro, 1971 .

(43) فوجي شارل نيكولاس (ولد سنة 1809) . عينه الجنرال فوارول سنة 1833 برتبة رقيب في هيئة الصبايحية التي كان يقودها علال بن برنيد قائد قبيلة بني خليل . وبعد ذلك بقليل عينه برتبة ملازم أول .

(44) العربي ، اسماعيل ، (سفارة ميلود بن عراش لدى الملك لويس فيليب (خلفيتها ونتائجها» ، مجلة التاريخ ، عدد ، 6 (جويلية 1978 ، الجزائر) ، ص 101 — 103 — أنظر أيضا : Roches, 32 ans T.I,, pp. 70 — 75.

(45) نفسه ، ج 1 ص : 76 — 79 .

(46) أنظر : Anonyme, quelques pages sur Léon Roches. Grenoble, 1898, pp. 1 — 12

(47) مع العلم أن عمر باشا لم يكن يعرف نوايا روش الحقيقية ، وهي التجسس على المسلمين ، ولكنه كان يبغض الأمير . وكان الأمير أيضا يعامل الأتراك معاملة سيئة .

(48) أنظر : Roches, 32 ans, T . I, pp. 80 — 92.

(49) أنظر : Roches, 32 ans, T .I, pp. IOI — 105.

(50) اسماعيل ، (سفارة ميلود بن عراش) ، ص 101 — 103 .

(51) أنظر : Roches, 32 ans, T . I, pp. 106 — 159.

Anonyme, quelques pages, pp. 36 — 39.

Emérit, (la légende), pp. 83 — 105.

(52) أنظر : Roches, 32 ans, T . I, pp. 160 — 163

(53) رسالة نشرها السيد ايدفيل ، وأشار اليها روش في كتابه (اثنان وثلاثون سنة) في نفس التاريخ والمكان و لكن محتواها يختلف تماما أنظر . Ideville, Corr. Bugeaud, T . 2, pp. 83 — 85

Roches 32 ans, T .I, pp. 164 — 167 .

(54) محمد باشا ، بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ، ج 1 و 2 ، تعليق د. ممدوح حقي ، الطبعة الثانية ، 1964 ، بدون مكان ، ص : 195 — 196 .

(55) أنظر Roches, 32 ans, T . I,pp. 77 — 79.

(56) لقد وقع اختيار الجنرال بيجو على الرائد مينانفيل ، ليكون قنصلا لفرنسا لدى الأمير ، ولما انتحر خلفه دوماس في انتظار تعيين قنصل جديد . ثم تقلد هو (دوماس) هذه المهمة إلى نهاية سلم التافنة . انظر :

Georges, Yver, (la mort du commandant Ménonville), Bulletin de la Société de géographie d'Alger, T, XIV, (1909), pp. 32 — 33 .

(57) أنظر : Yver, Corr. Daumas, 50 — 53.

(58) أنظر : Roches, 32 ans, T . I, pp. 205 — 212.

Yver, op., cit., pp. 117 — 166.

Féraud, les interprètes, pp. 235 — 245.

Faucon, le livre d'or, T . I, pp . 473 — 475 .

Anonyme quelque pages pp 40 55 .

(59) أنظر : Roches, op., cit., T. I, pp. 212 — 244.

(60) رسالة نشرها السيد ايد فيل (مراسلات بيجو) ولم ينشر اليا روش في كتابه (اثنان وثلاثون سنة) .
أنظر : Ideville, Corr. Bugeaud. T. 2, pp. 274 — 276.

(61) تظهر سذاجة الأمير والمسلمين في معاملتهم لليون روش خاصة عندما استقبله الأمير لأول مرة وصدق كلامه ، ولم يضع عليه أية مراقبة . فصار روش يختلي بنفسه ويحرر رسائله للفرنسيين . بل ان الأمير أمر بتعليمه القرآن لتفقه فيه . وحتى لما حاول روش الفرار من تلمسان بسبب شكوك المسلمين في اسلامه ، وتقابل مع الأمير بعد ذلك ، لم يأخذ الأمير حذره منه بل قربه وجعله أمين سره . وصدقه جميع المسلمين ، حتى الذين كانوا يشكون في اسلامه لم يحاولوا تقديم أدلة ضده للأمير . ولعل الأمير كان قد قرب روش منه ليستفيد من خبرته في الجيش الفرنسي ويعلم منه بعض الأسرار العسكرية وغيرها .

(62) أنظر : Roches, 32 ans, T. I, pp. 245 — 253.

(63) أنظر : Yver, Corr. Daumas, pp. 201 — 202.

Emerit, (la légende), pp. 83 — 105.

Anonyme, quelques pages, pp. 49 — 55.

(64) يقول روش ان زيارة أبيه للأمير كانت في 19 أفريل 1938 . ولكن الأصح هو التاريخ الذي حدده دوماس في مراسلته بتاريخ 27 ماي 1838 . أي أن الزيارة كانت قبل تاريخ مراسلة دوماس بحوالي أسبوع فقط .

(65) أنظر : Roches, 32 ans, T. I, pp. 257 — 263.

Yver, Corr. Daumas, pp. 201 — 202.

(66) أنظر : Roches, op., cit., T. I, pp. 273 — 283 et 474 — 482.

(67) أنظر : Yver, corr. Daumas, pp. 222 — 225.

(68) ابن عبد القادر ، التحفة ، ج I ص 306 . 311 Roches, 32 ans, T. I, pp. 295 et
654 — 656 .

(69) التيجانية طريقة دينية أسسها سيدي أحمد التيجاني ما بين سنة 1737 و 1815 ومركزها عين ماضي . انتشرت تعاليمها في كل من المغرب وافريقيا السوداء ، والحجاز ، وتركيا . وكانت حليفة لفرنسا حتى أن حفيد الشيخ سيدي أحمد تزوج من الفرنسية أوريلي بيكارد (Aurelie Picard) سنة 1872 . ولها مركز ثاني في تماسين قرب مدينة تقرت . ويقع مركز عين ماضي على بعد 72 كلم تقريبا غرب الأغواط . أنظر :

Gouvernement général de l'Algérie, Bulletin de liaison et de Documentation, (février-mars 1956), pp. 16.

(70) رسالة الأمير عبد القادر إلى وكيله في المغرب . أنظر :

Georges, Yver, (Abdelkader et le Maroc en 1838), Revue Africaine, n° 60, (1909), pp. 93 — 111.

(71) أنظر : Arnaud, (Siège d'Aï Madhi, par El-Hadj Abdelkader Ben Mohi-ed-Din),

Revue Africaine, n° 43, 8 ème année, (1864); pp. 354 — 371 et 435 — 453.

(72) أنظر : Roches, 32 ans, T . I, pp. 285 — 296.

(73) نفسه ، ج 1 ، ص : 300 302 .

(74) أنظر : Roches, 32 ans, T . I , pp. 306 — 313.

Yver, Corr Daumas, pp. 654 — 659.

(75) أنظر : Roches, op cit., T . I, pp. 303 — 310 .

(76) أنظر : Roches, 32 ans, T . I, pp. 320 — 327

(77) أنظر : Marcel, Emérit, à l'Algérie à l'époque d'Abdelkhader (Documents divers, T. IV), Paris, 1951, pp. 212 — 214.

(78) رسالة النقيب دوماس بتاريخ 28 ماي 1839 . أنظر : Yver, Corr. Daumas, pp. 477.

(79) ابن عبد القادر ، التحفة ، ج 1 ص : 355 — 361 . Yver, op cit., pp. 479 — 480.

Roches, 32 ans, T . I, pp. 370 — 371 .

Emérit, l'Algérie à l'époque, pp. 187 — 189.

(80) أنظر : Yver, Corr. Daumas, pp. 479 — 480.

(81) أنظر : Roches, 32 ans; T . I, pp. 374 — 384.

Yver, op., cit., pp. 478.

(82) أنظر : Roches, 32 ans, T . I, pp. 384 — 388.

(83) نفسه ، ج 1 ، ص : 388 — 389 .

(84) أنظر : Roches, 32 ans, T . I, pp. 390 — 391

Emérit, (la gégende), pp. 83 — 105 .

(85) أنظر : Roches, 32 ans T . I, pp. 393 — 409.

Roches, Dix ans, pp. 200 — 202.

Emérit, (la légende), pp. 83 — 105

Anonyme, quelques pages, pp. 64 — 73 et 81 — 88.

(86) حضر الجندي مونسيل اجتماع مجلس الأمير مع بعض الضباط الفرنسيين بقيادة الجنرال (Eynard) . وتنكر أمامهم بلباس اسلامي ، فلم يتفطن الفرنسيون لوجوده بينهم فأخذوا في مهاجمة المسلمين بلسان فرنسي ، علما منهم أنهم لا يفهمون لغتهم . وفي نهاية الجلسة أعلن الجندي مونسيل عن نفسه للضباط الفرنسيين ، فتخوفوا من أن يخبر المسلمين بما بدر منهم ، فهددوه وتوعدوه ، ثم أعدموه لما وقع في أيديهم . ومن يدري هل كان مونسيل قد أفاد المسلمين بما بدر من الوفد الفرنسي ؟ والظاهر أنه لم يبد لهم أي شيء عن ذلك ، لأن الوفد الفرنسي قد عاد سالما ولم يتعرض لأية اهانة . فكان من المفروض أن يجازوه خيرا مقابل كتمانه السر !. أنظر : Emérit, l'Algérie à l'époque, pp. 182.

Roches, 32 ans, T . I, pp. 70.

(87) أنظر : Emérit, l'Algérie à l'époque, pp. 182.

(88) أنظر : Yver. Corr. Daumas, pp. 201 — 202 et 474.

(89) انظر : Emérit, op., cit., pp. 187 — 189.

(90) انظر : Yver, op., cit. 424.

(91) انظر : Yver, Corr. Daumas. pp. 657 — 659

(92) يقول روش انه وصل إلى الجزائر على متن الباخرة آشيرون ، بتاريخ 19 نوفمبر 1839 . وقال السيد امريت (قصة ليون روش) ، انه عاد على متن الباخرة فوتور بتاريخ 18 نوفمبر 1839 . والأصح أنه يكون قد وصل إلى الجزائر يوم 15 نوفمبر 1839 ، بناء على رسالة فالي إلى وزير الحربية بتاريخ 15 نوفمبر في نفس السنة والتي يقول فيها انه استجوبه في هذا التاريخ . Georges. Yver. Correspondance du Maréchal Valée gouverneur général des possessions françaises dans le Nord de l'Afrique, Paris, 1954. T . 3, pp. 235 — 236.

Roches, 32 ans, T . I, pp. 409 — 411.

Journal El-Akhbar, du 15 et 22 novembre 1839.

(93) انظر : Yver, Corr. Valée, T . 3, pp. 235 — 236.

(94) للتعرف على هيئة المترجمين العسكريين التي عرفت أول قائد لها السيد دي لابورت ، والسيد ليون روش كقائد أعلى ثاني وأخير . انظر : Trumelet, le corps des interprètes, pp. 9 — 28

(95) انظر : Roches, 32 ans, T . I , pp. 411 — 420 .

(96) أنظر : Anonyme, quelques pages, pp. 89 — 94 .

Roches, Dix ans, pp. 205 — 212 .

(97) انظر : Roches, 32 ans, T . I, pp. 424.

(98) انظر : Roches, 32 ans; T . I, pp. 425.

(99) انظر : Féraud, les interprètes, pp. 235 — 240.

(100) انظر : Roches, op., cit., T . I, pp. 427 — 428.

(101) انظر : Ideville, Corr. Bugeaud, T.2pp. 294 — 300.

Eugène, Tattet, Correspondance inédite du Maréchal Bugeaud (1808 — 1849), Tours, pp. 234 — 235.

(102) انظر : Marcel, Emérit, (la lutte entre les généraux et les prêtres aux débuts de l'Algérie française), Revue Africaine, (1953), pp. 1 — 2.

(103) انظر : Indeville, Corr. Bugeaud, T . 2, pp. 113 — 114

(104) انظر نص الرسالة في امريت : Roches, 32 ans, T . I, pp. 443. Emérit (la légende), pp. 88

Rohes, Dix ans, pp. 228 — 234.

Féraud, les interprètes, pp. 235 — 240.

Faucon, le livre d'or, T . I, pp. 473 — 475.

Emérit, l'Algérie à l'époque, pp. 230.

Anonyme, quelques pages, pp. 95 — 103.

(105) انظر: Roches, 32 ans, T. I, pp. 439 — 443.

(106) ذكرت جريدة الأخبار ان السيد ليون روش، المترجم الرئيسي، قد وصل إلى الجزائر يوم 26 ماي 1842. ويقول روش في كتابه (اثنان وثلاثون سنة) انه عاد في أول شهر جوان 1842. انظر: Jornal El-Akhbar, n° 262, et n° 262, du 26 mai 1842.

(107) لم يذكر أحد من الباحثين انه عثر على النص الأصلي لهذه الفتوى. ولذا يجب الحذر من آراء المؤرخين حولها، خاصة الفرنسيين منهم.

غير أننا نلاحظ اثر حركة هجرة الجزائريين إلى سوريا والمشرق سنة 1893، ان السيد جول كامبون (Jules Cambon)، حاكم الجزائر العام، قد طلب من مفتي مكة ان يبعث له فتوى تقضي بمنع هجرة المسلمين من الجزائر وتسمح لهم بالعيش تحت سلطة المسيحيين. انظر نص الفتوى التي طلبها كامبون في:

Octave, Dépont, et Xavier, Capolani, les confréries religieuses musulmanes, Alger. 1897, pp. 33 — 37.

(108) انظر: Ideville, Corr. Bugeaud, T. 2, pp. 313 — 314.

(109) انظر: Ideville, Corr. Bugeaud, T. 2 pp. 313 — 314

(110) انظر: Emérit, l'Algérie à l'époque, pp. 230.

(111) اصل الآية «قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعقبة للمتقين» القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية 128.

(112) انظر: Journal El-Akhbar, n° 274, du 7 juillet 1842.

(113) انظر: Roches, 32 ans, T. 2, pp. 260 — 262 et 286 — 302.

Féraud, les interprètes, pp. 240 — 241.

(114) كانت قبيلة بني يزناسن تحتل الجبال الواقعة على الغرب الجنوبي من مدينة وجدة. وقبيلة انقاد تقطن على ساحل غرب نفس الجبال. ووجد الأمير في هاتين القبيلتين، مساندة كبيرة حتى ان أحد مرابطيها أعلن فيها الجهاد باسم الأمير سنة 1844. وبقيتا حتى سنة 1846 وفيتين للأمير، ونظمتا عدة هجومات ضد فرق الاستعمار الفرنسي.

انظر: Jacques, Caillé, Une Mission de Léon Roches à Rabat 1845. Casablanca, 1947. (Thèse), pp. 77 — 78.

(115) انظر: Roches, 32 ans, T. 2, pp. 370 — 371 ; :

Féraud, les interprètes, pp. 240 — 241.

(116) انظر: Roches, op., cit. T.2, pp. 390 — 393.

(117) نفسه، ج 2، ص: 411 — 414. Caillé, Mission Léon Roches, pp. 14.

(118) أبو العباس أحمد بن خالد، الناصري السلاوي، كتاب الاستقصا لاخبار المغرب الأقصى — الدولة العلوية — الجزء التاسع، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، 1956 ص: 53. وكذلك Caillé, Mission Léon Roches, pp. 14.

(119) السلاوي ص: 55.

(120) انظر : Caillé, Mission Léon Roches, pp. 10.

(121) انظر : Roches, 32 ans, T . 2, pp. 451 — 452.

(122) أنظر : Féraud, les interprètes, pp. 240 — 243 .

Caillé, Mission Léon Roches, pp. 14.

(123) يقول روش أن سبب رفض السلطان المصادقة على معاهدة للا مغنية يرجع إلى تدخلات القنصل الانجليزي في طنجة الذي كان يرى في الاتفاقية التجارية المس بمصالح بلاده . ويقول أيضا ان السلطان المغربي رضخ إلى احتجاجات الأمير عبد القادر الذي كان يراسل أصدقاءه في بلاط فاس باسم القبائل المغربية .

انظر : Roches, 32 ans, T . 2, pp. 451 — 453.

Féraud, op., cit., pp. 240 — 243.

(124) انظر : Féraud, les interprètes, pp. 240 — 243.

(125) كان السيد جياكومو منذ ذاك الحين وزيرا للملك نابولي ، ودام وفيا ومخلصا له حتى نهاية حكمه

انظر : Caillé, Mission Léon Roches, pp. 14 — 15.

(126) انظر : Roches, 32 ans, T . 2, pp. 453 — 457.

(127) نفسه ، ج 2 ، ص : 456 — 457 .

(128) انظر : Roches, 32 ans, T. 2, pp. 457 — 460.

(129) انظر : Roches, 32 ans, T .2, pp. 460 — 466.

(130) لما وصل ليون روش إلى مدينة الجزائر قادما من طنجة على متن الباخرة «Titan» صحبة الجنرال دي لاري ، بتاريخ 5 جويلية 1845 ، أوفده هذا الأخير في نفس اليوم إلى باريس حاملا نص معاهدة للامغنية الذي صادق عليه مولاي عبد الرحمن . وبقي دي لاري ينتظره في الجزائر لاتمام المهمة التي كلف بها في طنجة . انظر :

Journal El-Akhbar, N° 595, du 8 juillet 1845.

(131) انظر : Roches, 32 ans, T . 2, pp. 460 — 466.

Féraud, les interprètes, pp. 240 — 243 -

Faucon, le livre d'or, T . 1, pp. 473 — 475.

Anonyme, quelques pages, pp. 1 — 12.

(132) انظر : Caillé, Mission Leon Roches, pp. 14.

Féraud, op., cit., pp 240 — 243 .

Faucon, op. cit., pp. 473 — 475.

(133) أنظر : Journal El-Akhbar, n° 618, du 31 août 1845

(134) ذكرت جريدة الأخبار ان المارشال بيجو سوف يغادر الجزائر في 4 سبتمبر 1845 إلى فرنسا بطلب من وزير الحربية ليبحث معه شؤون الجزائر . وسيخلفه الجنرال لاموريسيار في منصب حاكم الجزائر العام . انظر : Journal El-Akhbar, n° 618, du 31 8 1845

(135) نسبت معركة سيدي ابراهيم إلى ضريح المرابط الذي وقعت المعركة حوله . وتعرف أيضا بمعركة

« كركور » نسبة للجبل الذي وقعت فيه .

(136) أنظر : Journal El-Akhbar, n° 631, du 30 septembre 1845.

Caillé, Mission Léon Roches pp. 10.

(137) انظر : Paul, Azan, Sidi-Brahim, Paris, 1930, pp. 246.

Caillé op. cit., p. 11 — 13.

(138) هو الحاج محمد بن عبو بن عبد المالك ، مغربي الأصل . نال اعجاب الحكام الأوربيين خاصة بعد أن قبلت فرنسا مدينة طنجة (6 أوت 1844) . وكان يتعاطف كثيرا مع الأوربيين ، حتى ان الأمير جوانفيل قدم له بعض الأسلحة كهدية . وكان أمل دي شاستو أن يكون ابن عبو هو سفير السلطان في باريس . خلف ابن عبو القائد محمد بن عبد الصادق على ولاية الريف ، ويرجع له (الفضل) في قمع رجال الأمير عبد القادر . ودام ابن عبو مواليا لفرنسا حتى وفاته في أكتوبر 1858 م .

(139) أنظر : Caillé, Mission Léon Roches, pp. 57 — 59

(140) لما تلقى السلطان مولاي عبد الرحمن أخبار معارك الغزوات ما بين الأمير والجيش الفرنسي ، قرر الخروج من الرباط ، والاستقرار في مدينة مراكش (كان الفرنسيون يطلقون عليها اسم Maroc) ليتفادى مضايقة الفرنسيين له . انظر : Caillé op.cit., p.17 — 20

Journal El-Akhbar, n° 662, du 11 décembre 1845.

(141) أنظر : Caillé, op., cit pp. 47.

(142) خلف والده في منصب قنصل انجلترا في المغرب في شهر افريل 1845 . وكانت الأوامر التي كلفته بها حكومته ، ووقع عليها اللورد ابر دين (Lord Aberdeen) ، وهي تساند وجهة النظر الفرنسية . وجاء في رسالة هاي لابن ادريس العبارة التالية ، «الحقيقة ان الفرنسيين لهم الحق الكامل في استعمال قوتهم الخاصة في مطاردة عدو يهددهم ويخيفهم بدون انقطاع . ولقد لجأ هذا العدو إلى بلد جار وصديق ...» . انظر : Caillé, Mission Léon Roches. P : 36

عن مفاوضة الأمير مع قنصل بريطانيا في طنجة انظر : أبو القاسم ، سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، الجزائر ، 1978 .

(143) أنظر : Caillé, op., cit pp. 81

(144) نفسه ص : 57 — 62

(145) Caillé mission leon Roches pp 81 . 82

(146) تقرير روش إلى دي شاستو ، بتاريخ 5 ديسمبر 1845 . انظر :

Caillé, Mission Léon Rohes, pp. 51 — 81.

Féraud, les interprète, pp. 240 — 243.

Faucon, le livre d'or, T . I, pp. 473 — 475.

(147) سلم السلطان قيادة نصف جيشه إلى ابن عمه مولاي ابراهيم بن عبد المالك ، وامره بالتوجه إلى شرق البلاد لمساعدة الطالب ابن حميدة والشيخ أبو زيان الشاوي القناوي ضد الأمير عبد القادر . وخرج الجيش من مدينة فاس في الأسبوع الأول من شهر ديسمبر 1845 . وكان مولاي ابراهيم يلقب

بالزيزون . ودخل في معركة ضد الأمير سنة 1846 ، وسنة 1847 على رأس جيش يتكون من ألف فارس . انظر : Caillé, Mission Léon Roches, p. 100 — 101.

(148) نفسه ، ص : 75 — 79 — 100 — 112 .

(149) انظر : Journal El-Akhbar, n° 669, du 28 décembre 1845

Caillé, Mission Léon Roches, pp. 15 — 16.

(150) رسالة روش الى ابن ادريس في 30 نوفمبر 1845 . أنظر : Caillé, op. Cit., pp 81.85 et 102.112

أرسلت الحكومة الفرنسية مبلغ 25920 فرنك إلى ابن ادريس . ومبلغ 10368 فرنك إلى أبي سلهام بن علي . أنظر : Caillé, op., cit., pp. 85.

(151) لا ندري ما نوع الدوبلاون الذي قدمه روش إلى ابن عبو ، لأن هناك ثلاثة أنواع منه دوبلاون يساوي 20 فرنك و 38 سنتيما ، والثاني 71 ، 40 فرنك ، والثالث 52 ، 81 فرنك .

(152) لقد كان ابن عبو رجلا فقير الحال ، كثير العيال . وكان يتقاضى أجرا ، ضئيلا فأغتنم نفوذ منصبه ، ولجأ إلى جمع المال من الأهالي . فحسنت وضعيته المالية في طنجة . ولما عين على اقليم الريف ساءت حالته فاشتكى ذلك إلى قنصل فرنسا في طنجة . وكان روش مطلعا على كل ذلك ، فساعدته هذه المعلومات على تنفيذ عملية الرشوة .

(153) رسالة روش إلى ابن ادريس في 30 نوفمبر 1845 . أنظر : Caillé, Mission Léon Roches, pp. 102 — 113.

(154) رسالة نشرها كايي في كتابه (مهمة ليون روش) ، ص : 114 ، ولم يعثر المؤرخون على رد ابن ادريس على هذه الرسالة اذا كان هناك رد .

(155) لم تقدم فرنسا أية مساعدة مالية للسلطان أثناء المعارك التي جرت ضد الأمير .

(156) سافر القائد أشعاش إلى باريس على رأس الوفد المغربي يحمل رسالة من السلطان إلى الملك الفرنسي ، وبقي هناك سبعة أسابيع كاملة ثم خلالها غسل أدمغة الجميع في متاحف باريس وملاهيها وقصورها وملذات العيش فيها . فانبهر اشعاش وصحبه وعاد يهلي بالاعين رأت ولا اذن سمعت ، وصرح للسيد دي شاستو ، قنصل فرنسا في طنجة ، قائلا : «لو أني شرحت لحمي لتغذية مثل فرنسا وارقت دمي لينهل منه ، فإن ذلك سيكون ضئيلا جدا اذا ما رأيت أن أبرهن للجميع على مدى ما يغمر قلبي من الاعتراف بعطف سلطان الفرنسيين الأعظم» . طالع : محمد، داود تاريخ تطوان ، (تطوان 1962) القسم الثالث ، المجلد الثالث ، ص : 295 — 296 — و 391 — 392 .

(157) انظر : Caillé, Mission Léon Roches, pp. 24 — 25

(158) أنظر : Stephane, Gell, Georges, Yver... Histoire de l'Algérie, Paris, 1929, pp. 217

(159) أنظر : Caillé, Mission Léon Roches, pp. 38 — 41

(160) عبد الجليل ، التميمي ، «دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس 1830 — 1881» ، الأصالة ، 29 — 30 ، (1876 م/1396 هـ) ، ص : 49 — 61 .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية :

أ ـ الكتب :

1 ـ **القرآن الكريم ، سورة الأعراف .**

2 ـ **تشرشل ، هنري ، حياة الأمير عبد القادر** ، ترجمة وتعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله ، تونس 1974 .

3 ـ خوجة ، حمدان بن عثمان ، المرآة ، تعريب العربي الزبيري ، الجزائر ، 1975 .

4 ـ داود ، محمد ، **تاريخ تطوان** ،(تطوان ، 1962) ، القسم الثالث ، المجلد الثالث .

5 ـ سعد الله ، أبو القاسم ، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال** ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1976 .

6 ـ (ـ) **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ، الجزائر ، 1978 .

7 ـ ابن عبد القادر الجزائري ، محمد باشا ، **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر** ، الجزء 1 و 2 ، تعليق الدكتور ممدوح حقي ، الطبعة الثانية ، 1964 .

8 ـ الناصري السلاوي ، أبو العباس أحمد بن خالد ، **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى الدولة العلوية** ـ الجزء التاسع ، تحقيق وتعليق ولدى المؤلف جعفر الناصري ، ومحمد الناصري ، الدار البيضاء ، 1956 .

ب ــ المقالات :

1 ــ اسماعيل ، العربي ، «سفارة ميلود بن عراش لدى الملك لويس فيليب (خلفيتها ونتائجها» ، مجلة التاريخ ، عدد 6 ، (جويلية ، 1978 ، الجزائر) .

2 ــ التميمي ، عبد الجليل ، (دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس 1830 ــ 1881) ، الأصالة ، عدد : 29 ــ 30 (1976 م/1396 هـ)

المصادر والمراجع الأجنبية :

أ ـ الكتب :

1 — Anonyme, *quelques pages sur Léon Roches*, Grenoble, 1898.

2 — Azan, Paul, *Sidi Brahim*, Paris, 1930.

3 — Caillée, *Jacques, Une mission Léon Roches à Rabat en 1845*, Casablanca, 1947.

4 — Depont Octave et Capolani, Xavier, *Les Confréries relegieuses musulmanes*, Alger 1987.

5 — Emérit Marcel, *l'Algérie à l'époque d'Abdelkader*, (Documents divers, T. IV), Paris, 1951.

6 — Esquer, Gabriel, *Correspondance du Maréchal Clauzel, Gouverneur Général des possessions françaises dans le Nord de l'Afrique*, Paris, 1948.

7 — Faucon, Narcisse, *Le livre d'or de l'Algérie (1830 — 1889)* T. 1, Alger, 1889.

8 — Féraud, Charles, *Les interprêtes de l'Armée d'Afrique*, Alger, 1876.

9 — Gsell, Stéphane, Yver, georges,..., *Histoire de l'Algérie*, Paris, 1929.

10 — Ideville, Henri, *Le Maréchal Bugeaud d'aprés sa correspondance intime et des documents inédits (1784 — 1849)*, T. 2, Paris, 1882.

11 — Leblanc, (Capitaine), *Généraux et soldats d'Afrique*, Paris, 1888.

12 — Roches, Léon, *Trente deux ans à travers l'Islam*, T. 1 et 2, Paris, 1884 — 1885.

13 — Roches, Léon, *Dix ans à travers l'Islam (1834 — 1844)*, Préface de

M. Carraby, Paris, 1904.

14 — Tattet, Eugéne, *Correspondance inédite du Maréchal Bugeaud (1809 — 1849)*, Tours, (sans date) .

15 — Trumelet, F., (Colonel), *Le Corps des interprêtes Militaires*, Valence, 1881.

16 — Turin, Yvonne, *Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale. Ecoles, medecines, religions 1830 — 1880*, paris, F. Maspero, 1971.

17 — Yver, Georges, *Correspondance du capitaine Daumas, consul de Marscra 1837 — 1839*, Alger, 1912.

18 — (· - - - - -), *Correspondance du Général Damrémont* (1ère série Correspondance Générale, T. IV), (1837) Paris, 1927 .

19 — Yver, Georges, *Correspondance du Maréchal Valée, des possessions Françaises dans le Nord de l'Afrique*, Paris, 1954.

ب — المقالات :

1 — Arnaud, (Siège d'aïn Madhi, par El-Hadj Abdekader Ben Mohi-ed-Din), *Revue Africaine*, n° 43, (1864).

2 — Emérit, Marcel, (la lutte entre les généraux et les prêtres aux débuts de l'Algérie Française), *Revue Africaine*, (1953).

3 — (· - - - - -), (La Légende de Léon Roches), *Revue Africaine*, T. 41, (1947).

4 — Gouvernement Général de l'Algérie, *Bulletin de Liaison et de Documentation*, (Février — Mars, 1956).

5 — Yver, Georges, (La mord du Commandant Ménonville), *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger*, T. XIV, (1909).

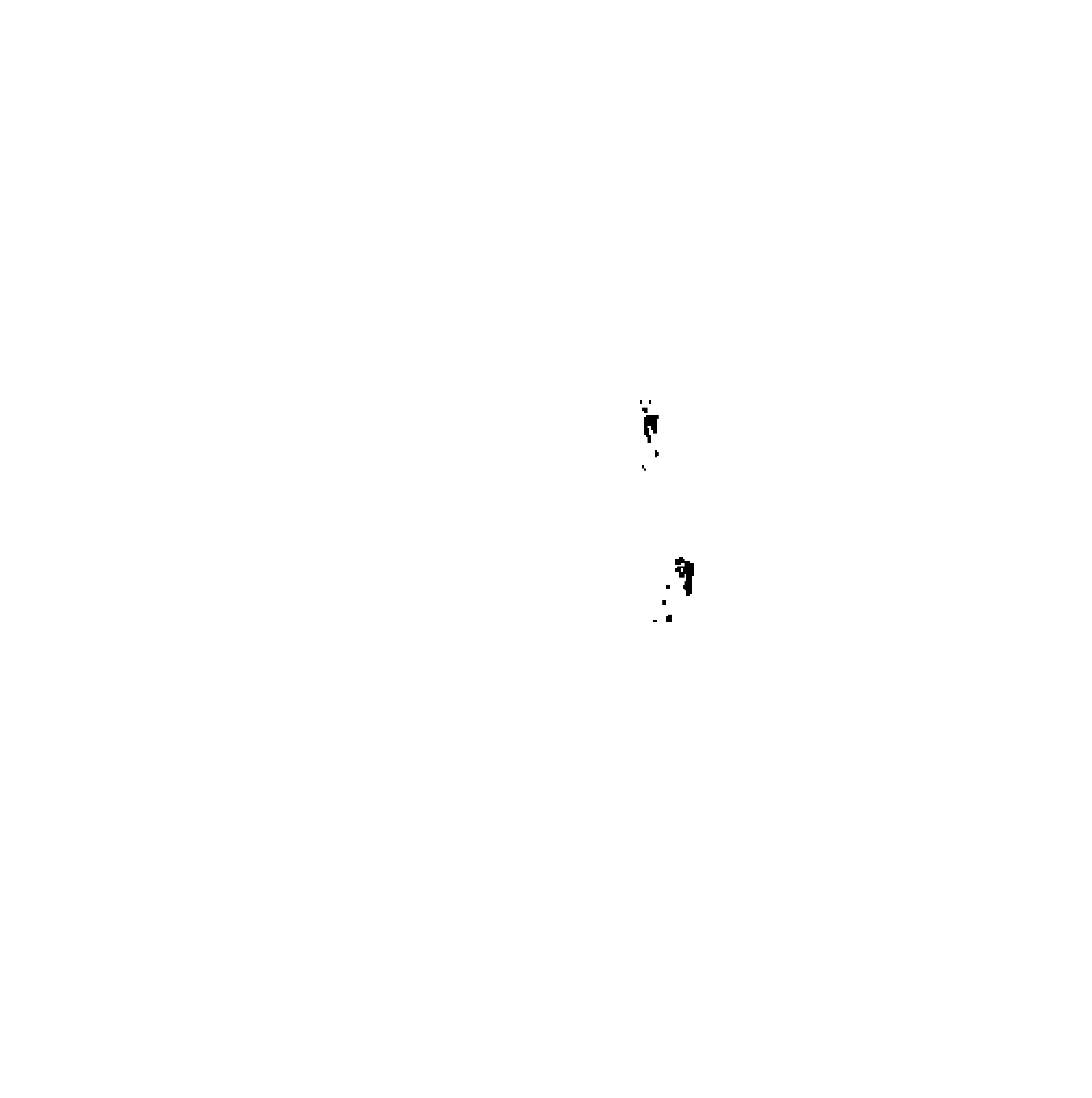
6 — (-) , (Abdelkhader et le Maroc en 1838), *Revue Africainb*, n° 60, (1909).

كما اعتمدنا أيضا على الأعداد التالية من جريدة الأخبار .

1 — Journal El- Akhbar, n°?, du 15 novembre 1839
2 — Journal El-Akhbar, n°?, du 22 novembre 1839

3 — Journal El-Akhbar, n° 262, du 26 mai 1842
4 — Journal El-Akhbar, n° 274, du 7 Juillet 1842
5 — Jiournal El-Akhbar, n° 595, du 8 Juillet 1845
6 — Journal El-Akhbar, n° 618, du 31 août 1845
7 — Journal El-Akhbar, n° 631, du 30 Septembre 1845
8 — Journal El-Akhbar, n° 662, du 11 Décembre 1845
9 — Journal El-Akhbar, n° 669du 28 décembre 1845

فهرس الأعلام والأماكن



فهرس الأعلام والاماكن

(أ)

- ب -

- ت -

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ر -

- ز -

- س -

- ش -

- ص -

- ط -

- ع -

- غ -

- ف -

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

- ن -

- و -

- ي -

فهرس الموضوعات

طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية ، الجزائر
1990

أستاذ مساعد في التاريخ المعاصر، له عدة مؤلفات منها :
- الحزب الحر الدستوري التونسي 1919 - 1934
- الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية 1919 - 1939
- مهمة ليون روش في المغرب العربي - القسم الأول - الجزائر والمغرب الأقصى.
كما نشر عدة ابحاث ودراسات في مجلات علمية وطنية، وشارك في عدة ملتقيات وطنية ودولية، ويرتكز نشاطه خاصة حول التاريخ المغربي المعاصر.

هذا الكتاب يتناول موضوعا خطيرا، وهو كشف الشخصيات الدخيلة [...]ينا، والتي تهدد حضارتنا، وتنخر جسدها من الداخل.

ومن هذه الشخصيات، ليون روش الذي خادعنا باسم الاسلام، مثلما [...]خدعنا الكثيرون اليوم، ويتربصون بنا الدوائر.

ولكي تعرف القليل عن هذه الشخصية يجب قراءة هذا الكتاب بعناية [...]بيرة وأخذ العبرة والدروس من الماضي لبناء الحاضر والمستقبل.